رحلة إلى الأوليمب

اسم الكاتب: د. أحمد غريب
اسم الكتاب: رحلة إلى الأوليمب
تدقيق لغوي: مصطفى حسين
تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – 2020 م
رقم الإيداع: 2020 / 19468
الترقيم الدولي: 8 – 06 – 6852 – 977 – 978

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

رحلة إلى الأوليمب

مجموعة قصصية

د. أحمد غريب

إهـــداء

إلى هذا العالَم الغامض المختبئ في اللحم والدم.
إلى النفس.

(رحلة إلى الأوليمب)

ـ"ليس لهذه المهمة المقدسة سواك يا(أركون)" قالها (أوناسيس) كبير تلك القرية البائسة القريبة من جبل الأوليمب المجيد، قالها متوسلا الشاب الوحيد الذي يتمتع بالقوة والوسامة مثل الأبطال المشهورين (هركيليس) و(بيرسيوس)، فشباب القرية ورجالها كالأزهار الذابلة، أما أركون فخَدُّه متورد وشعره ذهبي يكاد يشتعل نارا، وعينه زرقاء كالسماء الصافية، وجسمه المنحوت من رخام أملس يفجر في النفوس مهابة وإعجابا.

ـ "كيف تريدني أن أصعد إلى (زيوس) نفسه لأطلب منه الرزق والعفو من الأمراض؟ أنا لم أدع أي إله من قبل، لن يستمع لي أي من الآلهة!"

قالها متظاهرا بالمفاجأة، فقد باحت له زوجة (أوناسيس) الشابة (أتالا) في لقائهما أمس، قبل أن تبتلعها دوامة التأوهات تحت وطئة فحولة (أركون) المتدفقة.

ـ"بل سيستمع لك!" ثم تلعثم قليلا وأضاف" ربما أنت ابنه؛ فأنت الوحيد المُعافى في قريتنا، وكم أنجب (زيوس) من بنات البشر، لعل والدتك الراحلة.."

قاطعه (أركون):

ـ "لا أظن! لو كان يجري في عروقي دم الآلهة لأدركت"

ـ"هذه أربعون قطعة ذهبية، ومثلها عندما تعود بالبشارة"

ـ"بل سبعون الآن، وسبعون عندما أعود" قالها (أركون) مفاوضا.

ـ "أنت تعلم حال قريتنا، نحن في جدب دائم، ومرض مستشرٍ في الرجال"

أوقفه عن الاستطراد نظرة بطلهم غير المبالية، فأتبع أوناسيس "حسنا، كما تريد"

"وزعامة القرية!" أضافها الوسيم بلهفة، فتنهد أوناسيس و أجاب:

ـ "لك ما تريد إذا عدت بما نريد"

بدأ آركون يعد عدته للرحلة، إن الصعود لمقابلة الآلهة أمر جلل، ولا يعرف ما قد يجده في الطريق، استغرق الأمر أسبوعا، زاره فيه أكثر من عشر نساء يطلبن منه وجبة حب دسمة يتعللن بها حتى يعود، كان وافر الطاقة، خلاف رجال القرية الرخوة، كان في بداية علاقاته النسوية يحاول أن يخفي علاقته بكل واحدة عن الأخرى، ثم لم يعد يهتم، كذلك النساء كن يعرفن ما يردن فقط، ربما ما يضاف للعنة القرية شبق نسائها "هل يعرف رجالهن كذلك؟!" سأل نفسه هذا السؤال يوما، ثم انطلق ضاحكا حتى دمعت عيناه، وكاد يقتله السعال.

كان يوم خروجه يوم اجتماع تلك القرية، اجتماع على الأمل، على الإيمان بآلهة الأوليمب المجيدة، على الثقة في (آركون) شبيه الأبطال، ليقنع (زيوس) ملك الصواعق وكبير الآلهة ليخرجهم من بلاء دَجيٍّ إلى نعماء مشرقة، ينظرون لبطلهم واقفا شامخا على صخرة عالية، ماسكا نبله، متقلدا كنانته ممتشقا سيفه، يتساءلون "هل من الممكن أن يفشل مثل هذا؟"

أسلمه (أوناسيس) لجام أفضل حصان له وهمس في أذن الحصان: "هذا الفتى طوق نجاتنا الوحيد، حافظ عليه من أجلي" ثم ربّت على أنفه، أخذه (الشاب) بشموخ، وأخفى في السرج السبعين قطعة ذهبية كدفعة أولى، وحمّل على الحصان لحما مقددا مالحا وخبزا جافا و ماءً، "خذ!" قالها (أوناسيس) وهو يعطيه كيسا من الجلد، نظر (أركون) داخل الكيس فإذا به تراب من أرض القرية، نظر إلى الزعيم مستفهما فأجابه "فَأْل حسن، حتى تعود لنا سالما".

انطلق في رحلته من قرية إلى أخرى وكلما دخل قرية تجمع الناس حوله مشجعين؛ إذ سمعوا عن رحلة (آركون) الملهمة.

تباعدت حوافر الحصان عن الأراضى العامرة، وبدأت تطأ الأماكن الموحشة في توجس ورهبة، أطبق الليل بثقله، وأعلن الظلام قيام مملكته، وفي أثناء السير لمح (آركون) كوخا خشبيا يجلس أمامه شيخ يحلب الدفء من نار مشتعلة، فرح آركون بالصحبة، اقترب منه سائلا المبيت قرب النار حتى الصباح، فسمح له بابتسامة طفولية توحي ببعض البلاهة.

استدعى ضوء الشمس (آركون) للاستيقاظ، فلبّى النداء، فتح عينيه، فوجد الشيخ ممسكا بسيف صدئ، لا تكاد يده المعروقة تقوى على حمله.

ـ "من أنت؟" قالها مرتعدا

ـ"أنا من طلب منك المبيت قرب النار أمس، وقد وافقتَ!"

فتح الشيخ عينيه حتى جحظتا وقال:

ـ"أَحَدث هذا؟" ثم ألقى السيف كطفل غاضب ثم جلس على صخرة ودفن وجهه في راحتيه وقال:

ـ" هذا النسيان اللعين الذي يستبد بي، لا أذكر من أنا إلا فيما ندر، ولا أذكر ما يحدث لي، أي أتون من البؤس أُلقيت فيه؟ أية لعنة أصابت شيخا ضعيفا؟"

ثم رفع رأسه ناظرا لـ(آركون) وقد هدأ فجأة:

ـ"وفيمَ قدومك إلى هنا؟"

حكى له في عجالة عن هدف رحلته.

ـ"وهل تعتقد أنك نائلٌ مبتغاك يا (راكون)؟"

ـ"(آركون) اسمي (آركون).. سأقوم بالرحلة لأجل قريتي، هذه مسئوليتي؛ فأنا الأقوى والأفضل" ثم ابتسم بنصف فمه متهكما وأضاف وهو يشير إلى سرج حصانه:

ـ"لقد أعطوني بعضا من تراب القرية كفأل حسن"

عبس الشيخ وقام كالملسوع نحو الحصان، فلحق به (أركون) كيلا يجد القطع الذهبية..

ـ"ماذا تريد؟"

ـ"أريد أن أرى هذا التراب!"

ناوله (أركون) ما طلب، فأخذ منه قليلًا ووضعه في فمه، ثم بصقه.

ـ"قريتكم تربتها فاسدة وماؤها مليء بالأمراض، ارتحلوا لبئر آخر في أرض أخرى و ستبرءون"

كان يتكلم بثبات وبنظرة ثاقبة خالية من الحيرة التي كانت فيها منذ قابله، ثم عاد وجهه للين وحاله السابقة. لم يجادله (آركون) وودعه وفي قلبه نحوه قليل من الإشفاق، وأخذ يعد نفسه لاستكمال الرحلة،

وعندما هم بالرحيل لمح كتابا مهترئا ملقى على الأرض مكتوب عليه (عناصر الأرض وعناصر الجسد.. لهيلانتوس)، هز كتفيه غير مبالٍ وانطلق وسمع الشيخ ينادي عليه من خلفه:

"يا هذا.. من أنت؟"

سار بعده (آركون) يومين يبيت في العراء، لكنه وُفّق في اصطياد حيوان بريّ، مما وفر له وجبة دسمة جددت طاقته، وأيضا توفيرا للحم المقدد المالح والخبز الجاف، قرب نهاية النهار وجد عين ماء قرر المبيت قربها، اختبر صلاحية الماء على حصانه، فلما لم يتأذَّ الحصان شرب وارتوى وملأ قِربته، جاء الزائر الأسود الذي لا ينسى موعده، فتوسد (آركون) ذراعه ونام كعادته قرب عين الماء، في أثناء نومه وغطيطه، بدأ ماء العين التحرك كأنه يغلي، ثم بدأت أجسام سوداء الخروج، كانت ثلاثة كائنات تشبه الفقمة، لكن أطرافها تنتهي بأظافر طويلة حادة، وأنياب شريرة، لكنها عديمة الأعين، كانت تعرف طريقها نحو فريستها النائمة المتوسدة ذراعها، كان هو هدفها، سعت حثيثة إليه وحينما اقتربت منه علا صهيل الحصان، وانبرى مدافعا بحوافره عن

سيده في بسالة، استيقظ (آركون) وسلّ سيفه وقاتل مع الحصان هذه الكائنات العمياء، التي فقدت عنصر المفاجأة أنجع أسلحتها، كان خوفه من تلك الكائنات الغريبة كبيرا، لكن ضربات سيفه كانت مؤثرة، صهيل حصانه وضرباته سببت إرباكا لتلك الكائنات فكان الموت مصيرا منطقيا لها. ظل (آركون) يتصيد أنفاسا متفلتة من شدة انفعاله وهو يربت على رقبة حصانه بامتنان.

في اليوم التالي قرب الغروب كان (آركون) ينظر إلى جبل الأوليمب الذي سيبدأ تسلقه في الصباح، وفي الوقت نفسه كان (حادس) إله الموتى يتساءل عن حيواناته الأليفة الحبيبة التي ذهبت للاصطياد ولم تعد منذ الأمس، اقترب أحد الخدم مرتعدا وأخبره بالخبر المؤسف؛ غضب حادس كأنه الإعصار وأشار بذراعه في الهواء فظهر أمامه (آركون) وهو يعد عدته للنوم، فقال:

ـ"أنت أيها الفاني تقتل حيواناتي الصغيرة؟! سوف... ما هذا؟ إنه عند جبل الأوليمب! هل سيصعد؟؟ هل سيصعد؟! هل دعاه أحد سكان الأوليمب؟!" ثم أدار ظهره لصورة (آركون) فجأة وهو يحك

ذقنه ففزع من حوله من الأتباع و ابتعدوا خائفين ،صمت قليلا ثم تحدث إلى نفسه بصوت خفيض قائلا ـ "لو قتلته ربما يغضب أخي زيوس وهذا ما لا أريده" ثم علا صوته وقال صارخا:

ـ"لكن لابد من الانتقام لصغاري" فكر قليلا وهو ينظر إلى صورة آركون النائم وقال مبتسما:

ـ "سأكون رقيقا وغفورا معك، ليلة من صقيع مميت، لو نجوت منها فأنت حر، وإن لم تنج ربما يخدع الأمر أهل الأوليمب" ثم نفخ نفخة قوية نحو الصورة التي ترصد (آركون).

بدأ (آركون) يدلّك جسمه وهو غارق في النوم استجلابا للدفء، لكن لم يؤت ذلك من نبت الدفء برعما، فاستيقظ نافضا ثوب النوم مرتديا ثوب العجب، عيناه حائرتان في محجريهما تبحثان عن علة ما يشعر به، نظر إلى حصانه فلم يبد معانيا مما يلاقيه ويأكل من عطايا الأرض، فازداد عجبا على عجب، هب واقفا أخذ يتحرك جيئة وذهابا لعلّ هذا يكون المنقذ، استلّ سيفه وخاض معارك طاحنة مع خصوم من عدم، وكان عذابه يشتد، ثم التفت إلى حصانه المخلص، واقترب

منه ببطء، ونظر له لحظة، وقف (آركون) بين الحصان وجبل (الأوليمب) متأملا الجبل وقال:

ـ "لم تكن ستصعد معي على أيّة حال"

ثم دار حول نفسه دورة كاملة ملوحا بالسيف، وقطع ساق الحصن الأمامية الأولى، فالثانية، سقط الحصان أرضا صارخا ثائرا، محاولا -عبثا- الوقوف على ساقيه الخلفيتين، لكن (آركون) بدأ ضربات كحمم البركان على عنق رفيقه حتى سكنت حركته، لحظة موت الحصان قام (آركون) ببقر بطنه، وإفراغ بعض أمعائه، ثم حشر جسده داخل جسد الحصان الميت، فشعر بالدفء القادم من دماء الحصان وجسده، وظلّ هكذا حتى الصباح. عندما استيقظ كان الصقيع راحلا يجر أذيال الخيبة بعدما فشل في القضاء على (آركون) البطل، خرج (أركون) الذي كان منكمشا داخل الحيوان النافق، كان جسمه ملطخا بما كان مستقرا داخل الحصان، أخذ أسلحته، وباقي طعامه وقطعه الذهبية، وألقى تراب قريته بعيدا. بدأ تسلق الجبل العظيم، كانت به كهوف يستغلها للراحة، ووجد في أحدها غدير ماء

صغير استغله في الاغتسال من القذارة، ولما جنّ الليل، افترش الكهف لينام قليلا، لكنه لمح في نهاية الكهف العميق ضوءًا، تسلل ليستكشف سر الكهف العميق، وجد ضوءًا متجسدا في رجل عارٍ أصلع، لكن لا تبدو له سوءة، كان سقف الكهف عاليا والجسم الضوئي ثابت في الهواء بين الأرض والسقف، كأنه مصباح، نظر (آركون) مشدوها، ودار حوله عدة مرات.

ـ "ما أنت؟"

خرج الصوت من الرجل الضوئي دون أن تتحرك شفتاه.

فزع (آركون) ثم قال:

ـ"اسمي (آركون)!"

ـ"لم أقل من أنت؟ بل قلت ما أنت؟!"

ـ"أنا أنسان!"

تحرك الجسم كشهاب خارج الكهف ثم عاد مكانه خلال ثانية، مما أجفل محاوره..

ـ"إذن لمَ رائحتك كحيوان نافق؟"

ـ"تلك قصة طويلة!"

ـ"احكِ!"

حكى له قصته والكائن الضوئي معلق في الهواء لا يبدي إشارة، فكأن (آركون) يحكي لصنم أو طوطم..

ـ"هل أخذت مقابلا لرحلتك الخطيرة؟"

ـ "بالطبع لا، إن ما يهمني صالح القرية"

فتحول الرجل الضوئي إلى شهاب ومر من خلال صدر (آركون) ثم خرج من ظهره، وعاد إلى وضعه الأول وقال:

ـ "نم في الكهف ليلتك، ثم قم وأكمل رحلتك."

ـ"هل تعتقد أني أستطيع أن أقابل الآلهة؟"

ـ"ستقابل آلهتك، بالتأكيد!"

استيقظ (آركون) فلم يجد رفيقه الضوئي في الكهف، فاستمر في رحلته صاعدا، يقتات على طيور صغيرة غريبة يجدها في أعشاشها، يرتاح في الكهوف، ويجد بعض الماء في غدران مطر أو نتاج ذوبان بعض الجليد الموجود على علياء الجبل، حتى وصل للقمة المنشودة،

كان يلتقط أنفاسه في جَهد، يقف على ثلج، وينظر إلى بوابة شاهقة ذهبية، بها يبدو وراءها ستارٌ من الدخان الأبيض الناصع يحول دون رؤية موطن آلهة الأوليمب، تقدم نحو البوابة، لا يحيد نظره عنها فاتحا فمه راسما ابتسامة حالمة، عندما كاد ينال الوصول، سمع فرقعات صغيرة حوله، وبدأت تتكون ثلاثة أجسام.

ـ"الهورات!" قالها لنفسه بصوت خافت، ظهر حوله ثلاث حسناوات حارسات البوابة، تأمّل (آركون) حسنهن دون أن ينبس بكلمة، وهن تركنه حتى يفيق من سكرة الجمال الأخّاذ، لكنه لم يفق، ظل صامتا، ليكسب وقتا أطول للتمتع. طرن حوله كالفراشات، طرن بسرعة جعلته لا يدرك أيهن سألت:

ـ "ماذا تريد أيها الفاني؟"

ـ"جئت لمقابلة (زيوس) كبير الآلهة"

جاءه صوت حسناء أخرى:

ـ"كان يكفيك بعض الصلوات "

ـ "لا، أنا محمل بصلوت قرية كاملة، غادرت حناجرهم وضلت الطريق لآذان زيوس"

قال صوت ثالث:

"اذهب لمعبدك وصلّ!"

ـ"لن أذهب، لقد خضت رحلتي لمقابلة (زيوس) ولن أعود دون نيل مبتغاي"

قلن معا وهن مستمرات في الدوران حوله:

-"لن نسمح لك"

ـ"بل سأذهب"

وشد يديه على حمله -ما بقي من الطعام وحقيبة القطع الذهبيةـ وانطلق نحو البوابة الذهبية، بدأت الهورات الدوران حوله بسرعة كبيرة، ويصدرن صوتا مثل صرصور الحقل غير أنه عالٍ، ومؤذٍ، أُخذ (آركون) الصوت وسقط ما يحمله، وضع يديه على أذنيه وصرخ ليعلو صوته فوق صوت الهورات:

ـ "يا قاذف الصواعق، يا سيد الآلهة، ماذا فعلت لتردني عن باب

قصرك، أنا الذي جئت مخلصا من أجل قريتي المسكينة، لماذا لا تقبلني، يا (زيوس)"

فتحت البوابة، وانشق الدخان، وظهرت حسناء رابعة، تبتسم في حيوية، توقفت الهورات عن الدوران والضجيج المدمر و قلن معا:

ـ"أهلا (إيليثيا)!"

ـ"إن سيدتي (هيرا) تأمركم بالسماح له بالدخول" ثم نظرت في وجه (آركون) وقالت:

ـ "هي من ستقابلك"

فكر (آركون): إنها زوجة (زيوس)، وبقوته نفسها تقريبا، فليكن.

بدون انتظار جواب منه أولت له (إليثيا) ظهرها واتجهت نحو البوابة، وتبعها (آركون).

عبر (آركون) جدار الدخان ليرى ما أذهله، كان امتدادٌ أخضر ناضر، يغطي السهول والجبال، يزرع الطمأنينة في قلب الناظرين، والجبال الخضراء ينحدر عن قمتها شلالات متدفقة، صوت خرير الماء

الخلاب يمتزج مع صوت زقزقة الطيور المنتظم كمقطوعة منضبطة، نظر (آركون) إلى السماء مدققا، فرأى الطيور عبارة عن أطفال صغار، ذكور وإناث، في حجم كف اليد، بيض اللون، مجنحين بأجنحة شفافة، وهذه الزقزقة ما هي إلا غمغمة وضحكات هذه الأطفال ، وعلى الأرض الخضراء تجتمع جماعات من الحِملان الوردية، تنظر لبعضا بعضا وكأنهم يتبادلون حديثا، مرسوم على وجوههم ابتسامة غريبة صافية، وبين الحملان ما بين سائر ومستلقٍ عدد من الأسود، زهدت الصيد على الرغم من عنفوانها البادي، لبدها ناعم وافر غطى نصف أجسادهم، فتيات فاتنات صغيرات حييات، يتراقصن في حلقات على الأنغام الكونية، رائحة زكية تملأ صدر (آركون) وروحه، رائحة أراد أن يصفها لنفسه، فلم يجد إلا أن يقول إنها رائحة الحياة، رائحة الخلود، حتى مع أطفال البشر الموت تارك بصمته، أما هنا لا موت، فقط النعيم، يحيط بهذا الكون الذي لم يحط بحسمه استيعابه، قوس قزح، واضح بلا بهتان، ألوانه زاهية، خاطفة للألباب، كسحر معتَّق، كأنها قرأت أفكاره وملّت تباطؤه في الوقت نفسه، التفتت (إليثيا) وأشارت

لقوس قزح وقالت:

ـ"ما رأيك في عملي؟" ولم تعطه فرصة للإجابة وأضافت:

ـ"أسرع! مولاتي (هيرا) لا تحب الانتظار"

جدّ الخطى، وكان يسترق النظرات مما حوله من نعيم ورغد. رأى قصرا يعلو عن الأرض، قصرا عجزت عيناه عن استيعابه كاملا، تحيط به هالة نور، تهب منه رياح عطرة، وعندما اقتربا أكثر، جفل؛ إذ بدأت الرياح ترفعه برفق ليصل إلى بوابة القصر، و(إليثيا)أمامه تحدوه بنظراتها المطمئنة، وهو على الرغم من كل ما هو فيه مازال متمسكا بحقيبة القطع الذهبية والطعام، وصلا إلى مدخل القصر، ودخله، لم يجد حرسا فمن سيحرس الآلهة؟ أدخلته (إيليثيا) إلى قاعة متسعة باتساع الزمن، رأى في منتهاها عرشا تجلس عليه (امرأة) (هيرا) العظيمة، كانت بعيدة حتى ظن أنه سيأخذ وقتا طويلا ليصل إليها، لكن الأمر لم يكن كذلك؛ فبعض خطوات، أصبح واقفا أمامها، كانت المرة الأولى التي يهمل فيها حقيبة الذهب ويتركها تسقط من يده، انهارت كل قواه ورغباته أمام الجمال الصافي، بل كان الجمال

المطلق، كانت كامرأة ناضجة أربعينية، بيضاء كاللبن، شعرها أصفر كالذهب، ناعم كعسل ينسكب من إناء، عيون خضراء زاهية، كانت الكلمات تعجز عن وصفها، الوصف كان إهانة لهذا الجمال الذي يحتاج لغة متفردة للتعبير عنه، لم يستطع أن يفعل شيئا سوى السجود في حضرة بهائها، وقال:

ـ "مولاتي!"

ـ "قم (آركون) الفاني"

استمع لموسيقى صوتها بتلذذ وهي تنطق اسمه الذي أحبه أكثر، رفع من سجوده ليُفاجأ أن شكلها تغير، شعرها كان أحمر مموجا، وعيونها زرقاء، وبشرتها صهباء، هي هي، لكنها صارت أجمل، كان تعجبه أنه من الممكن أن تكون أجمل. وقف على قدميه، وقد تسارعت نبضات قلبه.

ـ لماذا تريد مقابلة (سيد الآلهة)؟

حارت عيون (آركون) للحظات ثم قال: ـ "نعم .. أرسلتني قريتي لمخاطبته لرفع المرض والفقر عن قريتي"

ثم شد قامته وقال للإلهة الأنثى:

ـ"فأنا بطلهم"

مالت (هيرا) إلى الأمام، فتدافع ثدياها السخيان أيهما يطل من ثوبها، تسمرت عليهما عين (آركون)، قالت (هيرا) وهي تنظر إلى حقيبته الساقطة:

ـ"وهل يأخذ البطل أجرا لبطولته؟"

جرى (آركون) نحو حقيبته، حملها عن الأرض واحتضنها مجيبا وهو ينظر إلى قدميها العاجيتين:

ـ"هذا أمر بيني وبينهم.. أريد مقابلة (زيوس)"

ـ"ولم زيوس؟" أعادت ظهرها للوراء ببطء وقالت في غنج:

ـ"لم ليس أنا؟"

ثم تغيرت إلى سمراء ذات شعر أسود فاحم وعيون ديجاء مكحولة، وكعادتها حافظت على ملامحها لكنها صارت أجمل.

ـ"إنهم يريدون مني مخاطبة زيوس"

مطّت شفتيها وقالت:

ـ "لن ينفعك في علاج لعنتهم إلا من وضعها!"

ـ "هل أنت..؟"

ثم حدثت فرقعة في الهواء وظهر (حادس).. كانت ملامحه لا تكاد تُرى من خوذته الكبيرة وصرخ:

ـ "كيف تستقبلون هذا الفاني، قاتل حيواناتي اللطيفة؟"

سأل (آركون):

ـ "أأنت من أرسلها؟"

ـ "ومن أنت أيها الفاني حتى أرسل لك شيئا؟ لقد خرجت تقتات في السلام"

ـ "سلام؟! إنها وحوش كاسرة!"

قاطعتهما (هيرا):

ـ "لا بأس يا (آركون).. لقد كان يدافع عن نفسه يا (حادس)"

ـ "حادس؟!" غمغم بها (آركون) في خوف عندما علم أنه يخاطب سيد العالم السفلي.

قال (حادس) مغضبا:

ـ"إن التجرؤ على أحد الآلهة هو تجرؤ على كل الآلهة حتى ساكني الأوليمب، هذا الفاني المتاجر بعذاب قومه، إنه.."

التفتت له (هيرا) وقد ملت لجاج (حادس):

ـ "ارحل يا (حادس) ودع الأمر لي"

ـ"لن أرحل سوف.."

ـ"ارحل" قالتها (هيرا) بصوت هادر ارتج له القصر ارتجاجة كادت تُسقط (آركون). لم يبد على (حادس) الخوف، لكنه تراجع لعدم الدخول في معركة قد يخسرها، واختفى فجأة.

ـ"هل خاف منك؟"

ـ"إن غضبي مؤذٍ، هل تعلم أني أصبت بشرية فانية -كان يغازلها زوجي الحبيب- بمرض عضال، وعندما عالجها أحد الأطباء، قتلتها وأفقدته ذاكرته، وقدرت رزق قريتها كاملة"

ـ "هيلانتوس وقريتي، هل أنا..؟"

ـ "نعم يا عزيزي، أنت أحد أبناء (زيوس) من عاهرات البشر"

ـ "لكن ما ذنب رجال القرية ونسائها؟"

ـ"القرية التي تغوي امرأة منها زوجي، لن تذوق لذة أبدا".

ارتبك (آركون) وأُسقط في يده، فعاجلته (هيرا):

ـ "لكن تقديرا لرحلتك" وأكملت بصورة ساخرة "وتضحياتك، سنصل إلى حل وسط"

ـ"ما هو؟"

أمسكت يده فاختفى القصر وصار في الحدائق الخضراء التي شاهدها عند وصوله، تجدد انبهاره بما حوله إذ امتزج مع جمال (هيرا). سألت (هيرا) وهم سائرون دون أن تنظر إليه:

ـ"ألست جائعًا؟"

ـ"بلى"

أشارت بأناملها للعشب الأخضر، فطال وتجمع وكوّن مقعدا، أجلست عليه (آركون)، ظهرت أمامه منضدة من لا مكان، ظل يتابعها (أركون) في انبهار وجوع، أشارت برقة لأحد الحملان الوردية الضاحكة، فطار في الهواء قادما إليهما، وهو يدور حول نفسه ببطء

حتى استقر أمام (آركون) مكتمل الشواء، يسيل من فوقه عسل وتفوح منه رائحة الشبع، نظر لها (آركون) برجاء، فأشارت له بحاجب واحد أن (كُلْ)، بدأ الأكل بنهم إلا أنه توقف بعد أول قضمة، فقط لاستيعاب اللذة التي دخلت فمه، استمر يأكل بلا أية لياقة، وهيرا تتابعه مبتسمة أو تضحك ضحكات لا صوت لها، حتى انتهى من طعامه، ظهرت فتاة عارية تماما من وراء شجرة، تحمل بين يديها إبريق ماء ووعاء ليغسل يديه، كان يتأمل مفاتنها ومناطقها المحرمة في جنون، ولا يستطيع أن يتخلى عن استراق نظرات لجمال (هيرا) وتخيلها بدلا من الخادمة الحسناء.

ـ"احتفظي بهذا الماء"

كان أمرا من (هيرا) للخادمة ألا تتخلص من ناتج غسل يد وفم ضيفها المستمتع، مدت (هيرا) يدها في الهواء ليصبح فيها كأس شفاف يحتوي سائلا من نور يشع إشعاعا، ناولته له وقالت:

ـ "اشرب ولا تنهه"

شرب (آركون) وكاد أن ينهيه من فرط اللذة والسُكر المتولد في عقله كأنه نبضات قلب سعيد، لكن (هيرا) سحبت الكأس من فمه وسكبت ما بقي منه في الوعاء الذي غسل فيه يديه بعد الأكل، انتبه (آركون) إلى الخادمة العارية التي لا تزال تمسك الوعاء في صمت وابتسامة مُغرية.

قالت (هيرا) بلطف:

ـ"لك عندي هدية أخيرة"

نظر لها (آركون) مستفسرا. فنظرت للأشجار حولها بحدة، فهبت الريح بين أغصانها وحملت آلاف أوراق الشجر لتكون فراشا أمام (هيرا)، نظرت له قليلا ثم أشارت للخادمة العارية فوضعت الوعاء أرضا وصعدت على الفراش وأشارت بإصبعها في إغراء لـ(آركون) الذي لم يعر اهتماما لوجود (هيرا) وجرى إلى الفراش ليستعرض طاقته أمام (هيرا)، لكنه صُدم، كانت الخادمة تفوقه طاقة وعنفوانا، لم تكن تتأوه أو تغمض عينيها، في حركة واحدة انقلبت به وصارت تعلوه، شعر بإهانة لفحولته الذي ظنها لا تنضب، جرى عرقه

كالشلال في محاولة مجاراة هذه الخادمة العفِيّة، ثم استسلم لها لتقود السفينة، بعدما باحت أعضاؤه بأسرارها نزل مترنحا من على الفراش، ونزلت الخادمة في ثبات وثقة كأن لم تفعل شيئا، كان متعرقا كأنه غرق في بحر، منتشٍ كما لم يحدث من قبل، اقتربت منه هيرا ووضعت إصبعها بين عينيه، فشعر بالعرق ينسحب عن جسمه، ورآه يتجمع أمامه ليصنع كرة من ماء ثم يسقط في ذات الوعاء.

ابتعدت الخادمة واختفت وبقيت(هيرا) و(آركون)، أخذت الوعاء وكان كل اهتمامها عليه، أشارت له بيدها اليمنى، بدأ ما يحتويه من سائل الغليان والدوران حول نفسه، تحرك السائل فصار دوامة، غادر الإناء فكان دوامة في الجو، كانت يد (هيرا) اليسرى تشير إلى الأرض، بدأت حبيبات من التربة تخرج من تحت العشب الأخضر وترتفع في الهواء بجانب الدوامة، ضمت (هيرا) راحتيها معا فامتزجت التربة بالسائل ليصبحا ما يشبه الطمي، ظلت (هيرا) تحرك يدها فتشكل الطمي إبريقا فخاريا، ثم نفخت فيه فجفَّ، تلقفته (هيرا) من الهواء وناولته لـ(آركون) فقال لها:

ـ"ما هذا؟"

ـ"هذا الحل الوسط بيني وبين قريتك، اسكب ما فيه!"

نظر (آركون) داخله وقال:

ـ "إنه فارغ!"

عقدت (هيرا) ساعديها ناظرة له دون كلمة، فصدع لأمرها وبدأ السكب، فإذا بسائل زهري يتدفق من الإبريق تصاحبه نظرات عجب (آركون). أجابت (هيرا) نظراته:

ـ "هذا شراب اللذة صنعته من أحاسيسك التي تولدت من حسن ضيافتي، عندما يكون الطعام غير مشبع لكم اسق قريتك منه فلن ينساب إلا بيدي بطلهم (آركون)، إذا لم يشبع زوجان من لقاء بينهما فليتبعاه برشفة من شراب اللذة، سيجعلكم تشعرون بالشبع والنشوة مهما كان زادكم قليلا"

ـ"لن ينساب إلا من يدي؟" قالها (آركون) وعينه تسافر في اللامكان.

ـ"نعم يا بطل القرية، ولكن عليكم أن تبنوا لي معبدا، ولا تنقطع الصلوات لي"

احتضن الإبريق ونظر إلى (هيرا) وقال:

ـ"مولاتي.. أمامي رحلة طويلة هل أتزود ببعض الطعام والشراب من هنا؟؟"

ضحكت (هيرا) وقالت:

ـ"بل سأقدم لك آخر هداياي! (إليثيا)!"

ظهرت (إليثيا)، وهي تحمل حقيبة القطع الذهبية، فجفل (آركون) فهو لا يتذكر أين أو متى سقطت منه، فاختطفها منها سريعا.

قالت (هيرا):

ـ أوصلي (آركون) العظيم إلى قريته.

مدت (إليثيا) ذراعيها أمامها فبدأ يخرج من بين أصابعها قوس قزح ليرسم طريقا على الأرض ممتدا، نظرت (إليثيا) إلى (آركون) أن قِف وسط الطريق الملون، تشبث (آركون) بحمولته، ونظر إلى (هيرا) ليودعها، كانت واقفة على وجهها عبوس عجيب، لأول مرة يخاف

منها، بل يرتعب، حينما وضع كلتا رجليه على الطريق الملون، وجد الأرض تُطوى له طيا، والموجودات تفر إلى الخلف، تشبث بحمولته أكثر خشية أن تسقط ثم هدأ كل شيء فجأة ووجد نفسه على مشارف قريته. دخل القرية يتحسس خطاه كأنه غريب عنها، كان أهل القرية مشغولون في زراعة الأرض العقيم، ونشاطاتهم اليومية، كان (أركون) يتجه إلى الصخرة التي وقف عليها يوم بداية رحلته، بدأ الناس يلتفتون لوجوده، ويتردد اسمه همسا متصاعدا حتى صار صراخا فَرحا، وقف على صخرته وفي إحدى يديه حقيبة الذهب، وفي الأخرى الإبريق الفخار، تجمع حوله الناس، ثم شق الجموع (أوناسيس)، ليقف مواجها لـ(أركون) وقال:

ـ"أركون؟ هل عدت بالبشرى؟ هل قابلت (زيوس)؟"

لم يجبه (أركون)، بل خطب في الناس ناظرا لأبعد منهم كأنه يكلم شعبا عظيما، لا بضع مئات أو أقل، وقال:

ـ"أنا (أركون) بطلكم، ومنقذكم، خضت أهوالا تحقر ما خاضه (هيركليس)، صارعت العماليق والجن والوحوش، اقتحمت الأراضي

المجهولة، ثم صعدت الأوليمب، وقابلت (هيرا) الممجدة"

قاطعته همهمة الناس وترديدهم لاسم (هيرا)، وقال (أوناسيس):

ـ"(هيرا)؟ قابلت (هيرا) يا (أركون)؟ إنها تكره البشر! كيف تلجأ إليها؟!"

استمر (أركون) خطيبا:

ـ "مولاتنا الممجدة رقت لحالكم، فقط ابنوا لها معبدا وأكثروا لها الصلوات، ومهما قل طعامكم، وزاد مرضكم بيدي أنا (أركون)، كاهن(هيرا) لديكم سأسقيكم بهذا الإبريق لذة الشبع وفرحة العنفوان"

وبدأ يسكب في الهواء فانساب السائل السحري أمامهم، تقدم أوناسيس ليذوق السائل في شك منهم جميعًا، بمجرد أن تذوقه سقط على ركبتيه، ودفن وجهه في راحتيه قليلا، ثم رفع رأسه، واتجه لقدم أركون يقبلها ويقول:

ـ"مولاي أركون، كاهن سيدتي (هيرا)"

بدءوا جميعًا يتذوقون السائل الزهري، ويغرقون في اللذة، أسكرتهم السعادة، كانت القرية كلها منطرحة على الأرض، وعندما هدأت نبضات قلوبهم، نظروا نحو أركون الذي ظل يسقيهم الوقت الطويل، لكنهم حينما نظروا لم يجدوا أركون، بل وجدوا تمثالا لأركون من فخار، فخار يشبه هذا الذي صُنع منه الإبريق، لقد أصبح شيئا واحدا مع الإبريق، الذي ظل يتدفق منه شراب اللذة إلى الأبد، بنى أهل القرية معبدا لـ(هيرا) حول تمثال (أركون) الذي عُبد معها؛ فمنه يأتي الشراب المقدس، ظل الجوع والمرض والضعف ينخران في أهل القرية ويفترسانهما افتراسا، لكنهم عاشوا وماتوا سعداء بفضل الهدية القادمة من فوق جبل الأوليمب.

(فنتريلوكيزم)

ـ يا دكتور (مازن) !

قالها (التمرجي) للدكتور صاحب الملامح المُرهقة، التي لم تُخفها العوينات السميكة القابعة فوق أنفه، تحركت رأس الطبيب نحو (التمرجى) وسأل:

ـ ماذا هناك يا (عوض)؟

ـ مريض جاء بدون حجز!

ـ من؟

ـ أول زيارة له!

ـ كيف بدون حجز؟ ولِمَ لم تعتذر منه؟

كان يتحدث بصوت غاضب، ينذر (عوضا) بالويل، مما جعل (عوضا) يتلعثم وهو يقول:

ـ حاولت يا دكتور لكنه أصرّ، و يبدو عليه الإرهاق الشديد، لقد أشفقت لحاله.

ردّ دكتور (مازن) عليه متأففا:

ـ دعه يدخل.

كان شابا في عقده الرابع، نحيلا، أبيض البشرة، ناعم الشعر، أسوده، يحمل في يده حقيبة ضخمة من القماش، يرتدي ملابس كلاسيكية، نظر للطبيب وشفتاه ترتعدان، حاول البدء بالكلام لكنه أحجم، كأنه لا يعرف ماذا يقول.

ـ ما رأيك أن نبدأ بالتعارف؟

قالها الطبيب (مازن) باحترافية، فبدأ الجليد بالذوبان من فوق لسان المريض، فقال:

ـ وائل خالد، مدرس (علم نفس).

قال الطبيب بتودد:

ـ زميل إذن.

ابتسم (وائل) بخجل طفولي، ولم يُضف، فقال دكتور(مازن):

ـ كيف أساعدك يا أستاذ وائل؟

ـ قصتي طويلة، يا دكتور وأعتذر لإتياني متأخرا دون موعد

مسبق، لكن بمجرد أن استجمعت شجاعتي لتلك الخطوة لم أشأ أن أتراخى خشية التراجع.

ـ ليس هناك من أحد قصته قصيرة، وليس هناك من قصة غير قابلة للاختصار.

ـ حسنا يا دكتور، أنا كما أخبرتك بالإضافة لعشقي لفن الفنتريلوكزم.

ـ ماذا؟

ـ الفنتريلوكيزم، الكلام من البطن، هو فن استعراضي حيث يستطيع الإنسان التكلم دون تحريك شفتيه، فيقوم الفنان بمحاورة دمية على المسرح بشكل مبهر.

سأل الطبيب باستخفاف:

ـ مبهر؟

ـ نعم، فأنا أجيبك الآن دون تحريك شفتي، وأنت منبهر لأنه لا يبدو أنني من يتحدث إليك.

كان (وائل) مبهرا حقا فقد كانت مخارج ألفاظه واضحة، ومفهومة، على الرغم من أنه ثابت الملامح كتمثال وكأن الصوت يخرج من مسجل مُخبأ في مكان ما.

تنحنح الطبيب، وسأل:

ـ هذا أنت، ما مشكلتك؟

أجاب بصوت يكاد لا يُسمع:

ـ أنا خجول، نشأت يتيم الوالدين، كنت أتجنب الناس، ثم اكتشفت موهبتي ونميتها، بدأت تصميم الدُمى وتصنيعها عند أحد المتخصصين ثم محاورتها، واختلاق صوت وشخصية لكل دمية، كانت متعتي الوحيدة، أبث تلك الدُمى أفراحي وآلامي، أبوح لها بحبي لزميلتي (دعاء) التي لم أجسر على البوح به لدعاء نفسها، أنا دارس لعلم النفس وأعلم أن تلك مشكلة، لكن المشكلة تعاظمت.

مال نحوه دكتور (مازن) مستحثا إياه ليُكمل، فأضاف (وائل):

ـ تعاظمت المشكلة عندما صنعت (علي العايق)، دمية تمثل شابا أنيقا، وسيما، جريئا، ذكيا، بدأت محاورته وتعايشت مع شخصيته،

وتقمصت صفاته، كنت عندما أتحدث بشخصيته، أفكر بذكائه، بثقته، أشعر بجرأته تجري مني مجرى الدم، إذا ما واجهتني مشكلة ما، أُخرج (العايق) وأتكلم معه، فتنبت في رأسي الفِكَر لحل مشكلاتي، ويشد من أزري لأتخذ قرارات ما كنت أتخذها بدون صوته وتقمصي إياه، بخطته ونصحه صارحت (دعاء) بمشاعري، وواجهت مديري من أجل ترقيتي، أصبحت لا أستطيع أن أحيا حياة ليس بها (علي العايق).

أنهى كلامه لاهثا، يكاد صوت دقات قلبه يُسمع السائرين في الشارع. نظر له دكتور (مازن) دقيقة كاملة حتى يهدأ، ثم تحدث بصوت رزين:

ـ مما سمعته منك يا أستاذ (وائل)، فـ(العايق) في حياتك مفيد، صفقة رابحة، أحد أدواتك لتحقيق النجاح، لماذا تصوره لي كمشكلة؟

اندفع (وائل) مجيبا:

ـ الحرية يا دكتور، أشعر أني أسير دمية خشبية، كأنها لها روح وذات منفصلة عني، أنا لم أتخذ أيّة خطوة إلا من خلال دمية أنا من يتحكم بها -أو هكذا ظننت- عندما أجد نفسي لا أستطيع اتخاذ

قراراتي إلا في حضوره، فهذا يجعلني أوهن مما كنت، أريد الحرية من هذا الشيء يا دكتور.

نظر الدكتور لحقيبة القماش الضخمة، ثم نظر في عين (وائل) وسأل:

ـ هل أحضرت الدمية معك؟

حرك رأسه بعصبية أن نعم، أشار الدكتور برأسه أن أخرجه! كانت دمية لشاب وسيم، يرتدي سترة حفلات، مما تُسمّى (توكسيدو)، وضع (وائل) يده داخل الدمية في وضع التحريك، أخذت الدمية تحرك رأسها يمنة ويسرة، كمن استفاق من ثبات عميق، ثم أطالت النظر إلى دكتور (مازن) وسألت:

ـ ما هذا؟!

خرج صوت الدمية واثقا جليّا خلاف صوت (وائل) المرتعد المتلعثم، الذي أجاب:

ـ هذا دكتور (مازن)، طبيب نفساني!

ردّ (العايق)، ضاغطا على حروفه، وعيناه مثبتتان على الطبيب:

ـ وما حاجتك إليه وأنت دارس لعلم النفس؟ أجبني! لا.. لا تجب، أنت تريد التخلص مني، أليس كذلك؟ بعد كل ما فعلته من أجلك؟!

ـ لا يمكن أن أقبل أن أظل تابعا لصنعتي، مهما اعتقدتَ أنك فعلت من أجلي فأنا من أوجدك.

كان الطبيب يراقب في صمت، ثم تدخل وقال:

ـ يا (وائل)، ما زلت تكلمه كأنه رجل حقيقي، أنت دارس لعلم النفس أنت داخل لمنعطف خطير، أنت تكلم نفسك.

ـ اخرس!

قالها (العايق) بعنف، ثم نظر لـ(وائل):

ـ يا أحمق، أنت تهرب من سيطرتي وتضع نفسك تحت سيطرة هذا، أنا من قرّبك من (دعاء)، هل أحترمك أحد قبل أن تعرفني؟

أجابه (وائل) والعرق يتكوّن على جبينه لا تكاد تتضح كلماته من التوتّر:

-هذا طبيب سيعرف مصلحتي أفضل منك، لن يُشبع رغبته في السيطرة، هل تفهم؟!

"يا لك من أحمق!"

خرجت هذه الجملة من فم دكتور(مازن)، فالتفت له (وائل) ورأس (على العايق)، فاستطرد:

ـ أكلمك أنت يا علي..

تعجب (وائل) وهم بالكلام، لكن دكتور (مازن) لم يمهله وأكمل:

ـ لقد غيرت حياة هذا الإنسان، بل صنعت له حياة كريمة، أتيت له بالحب، فماذا كان حصادك؟ نكران الجميل والكِبر، والرغبة في التخلص منك، يراك عبئاً على كتفيه، وأنت تتمسك به؟ إن الغضب الذي تشعر به مُستحق، أنت أعظم وأجل من أن تكون مع مثله، عليك أن تبحث عن رفيق آخر.

نظر (العايق) إلى (وائل) وقال بصوت يشوبه البكاء:

ـ نعم، أنت لا تستحق الحياة التي أعطيتها لك، يجب أن تحيا إمعة،

تتقاذفك أمواج البشر وألاعيبهم، هذا فراق بيني وبينك.

ثم حطّ طائر الصمت على رأس الغرفة لدقائق، لم يقطعه إلا صوت (مازن) سائلا (وائل):

ـ ما بك؟

نظر له ووجهه تتساقط عنه قطرات العرق، ثم نظر لدمية (العايق) وقال:

ـ أحاول استحضاره فلا أستطيع، ماذا حدث؟

– فقط ألق هذه الدمية من النافذة حالا! إذا أردت حريتك فألقها، إذا أردت كرامتك ألقها، هو لن يعود، لقد اتخذ قراره.

تردد (وائل) كثيرا، ثم انصاع تحت ضغط الدكتور (مازن)، ظل يراقب الدمية وهي تسقط وتنكسر، وتمر عليها السيارات فتحيلها خبرا بعد عين. عاد إلى مقعده، وسقط عليه منهكا، رفع عينيه في إعياء إلى دكتور(مازن) الذي كلمه بهدوء:

ـ أنت ضعيف يا (وائل)، اعذرني، لم يكن ممكنا إقناعك بتركه، فأقنعته بتركك، أنت تحتاج لعلاج مكثف، لكن أنت تعلم كما أعلم أنا

أني لست الطبيب المناسب، اذهب لغيري!

ـ لا، ليس بعد أن قضيت على (علي العايق)، أنت المسئول الآن عن نصحي بدلا منه، عن مساعدتي، وستفعل!

ردّ دكتور (مازن) باستسلام:

ـ يبدو أن (العايق) كان محقا، أنت فقط مللت من سيد قديم وتريد استحداث سيد جديد، لقد أدمنت التبعية، وكرهت الحرية.

سأله (وائل) متوسلا:

ـ هل ستحجم عن مساعدتي متى طلبت منك؟

أجابه بهدوء وحب:

ـ أنت تعرف أني لا أستطيع أن أحجم عن مساعدتك.

قام (وائل) بخطوات وئيدة، وحمل دمية الطبيب ودمية عوض (التمرجي) ليضعهما في خزانة الدُمى التي أصبح بها متسع بعد إلقاء دمية (علي العايق) في الشارع.

(نقطة دم)

في قصر منيف تتسابق الجواري، فالأمر جلل، الملك المهيب الضخم يقف خارج غرفة زوجته، يتحرك جيئة وذهابا، منتظرا بشارة بدأ يقنط من حدوثها بعد عشر سنوات من زواجه، وها هو اليوم سيأتي له عقب، يأمل أن يكون ذكرا، يورّثه المُلك.. فُتح باب الغرفة، وخرجت القابلة لتطالب الجواري بشيء ما، استبق الباب قبل أن يُغلق، ونظر في عين القابلة فانحنت في خشوع، وقالت:

ـ لم تزل الولادة متعسرة يا مولاي! لكن اسأل الله الخيرَ.

ـ اللهم يسّرْ!

عاد لسعيه أمام غرفة زوجته حتى أتاه صوت جندي من خارج الحرملك، قال:

ـ مولاي، لقد جاءوا به!

نظر بقلق نحو باب الغرفة المُغلق، ثم ارتدى لباس الحزم، ونادى جارية وقال:

ـ إذا كان ولدا فأخبري الجنود أن يكبّروا، وإذا كان أنثى فأخبريهم أن يُحوقلوا، واتجه نحو قاعة الحكم.

دخل القاعة من المدخل المخصص له؛ فتحفز من فيها من الجنود، قعد على مقعده المريح الذي يرتفع ثلاث درجات، ونظر للسيّاف الوقف عن يمينه وقال:

ـ اجهز يا (عسّاف).

شُدّت عضلات (عسّاف)، والتحمت كفّه بمقبض السيف بقوة وثبات، نظر نحو باب القاعة المخصص لدخول رعاياه، ونادى بقوة:

ـ أدخلوه!

دخل الجنود يطوقون رجلا مقيدا بالأغلال، له عين واحدة، يرتدي ثياب الجندية، مزقتها سيوف وحراب، ففضحت جراح القتال قديمها وجديدها، كان يمشي بينهم رافعا هامته، رابط الجأش، واثق الخطوات، دفعه الجنود ليقف بين يدي الملك، اختطف الأسير نظرة

نحو السياف، فأدرك من مسكة (عساف) لمقبض السيف، التي يعرفها جيدا، ما ينوون فعله، اختلجت عضلات وجهه للحظة، ثم عاد وجهه لثباته، وبالغ في رفع أنفه لأعلى.

قام الملك من مكانه، تسبقه نظراته الغاضبة، سار حتى كاد يلتصق بأسيره، وخاطبه كالفحيح:

ـ شققت عصا الطاعة يا ابن أبي؟؟

رد عليه أسيره في ثبات:

ـ يا (علي)...

قاطعه الملك:

ـ "مولاي الملك" هكذا تدعوني يا زين.

ثم عاد إلى مجلسه وضرب يد مقعده بقبضته وأضاف:

ـ ما دمت أملك هذا؛ فأنا مولاك على الرغم من أنفك!

ـ وأنا أخوك، وولي عهدك، وقائد جيوشك ومؤيد ملكك، بسيفي وشجاعتي، وذكائي..

ثم أشار إلى عينيه التالفة بيديه المقيَّدتين وأكمل:

ـ وبعيني، وبعد هذا تخلعني من ولاية العهد ما أن حملت (راوية) زوجك المحبوبة، قبل حتى أن تعرف أذكر طفلك أم أنثى.

تحرّك الملك في مكانه، وردّ في توتر:

ـ أبقيتك قائدا للجيوش، وضاعفت ضياعك، لكنك أبيت إلا محاربتي ونزع ملكي، وها أنت بين يدي ذليل.

ـ إني أستحق ولاية العهد.

ثم ارتفع صوته صارخا:

ـ بل أستحق المُلك.

صرخ الملك في هياج:

ـ (عسّاف).. اضرب عنقه أمامي.

نزل (عساف) درجتي السلم وهو يستل سيفه، وبضربة واحدة باعد بين رأس (زين) وبين جسمه. وبسقوط جسم (زين) على الأرض ارتفع صوت التكبير في القصر، مرت ثوان قبل أن يدرك معنى التكبير، ثم قام مهرولا حتى باب حجرة زوجه، التفت للحراس وهو يسرع

قائلا:

ـ نظفوا المكان من دماء الخائن.

وصل إلى الممر فرأى القابلة تحمل هدية السماء إليه، كشف عن ذكر الطفل ليراه بنفسه، ثم قبل وجه الرضيع، وقال للقابلة:

ـ لك وزنه دنانير، أنت ومن معك.

دخل على زوجته المنهكة التي تكاد تفقد وعيها، فقبل جبينها، ووضع ولي عهده في حضنها، ثم اتجه إلى قاعة الحكم.

++++

كان الملك يجلس منتشيا، بعدما نسق مع وزرائه الاحتفالات بمقدم ولي العهد الأمير (المنصور)، أمر بإخلاء القاعة ليرتاح، وبدأ يتخيّل الملك المستقبل وابنه شابّ قويّ يشد عضده، ويدعّم الملك، في خضم الخيالات الزاهرة، اصطدمت نظراته بأرض القاعة، فلمح نقطة حمراء، تمعّن فيها، فإذا هي بقعة دم، إنها من دم أخيه (زين)، أشاح وجهه بعيدا، نزل عن مقعده ليمسحها بطرف ثوبه، لكنها أبت "هذا الخائن لأخيه" هكذا بدأ يفكّر:

"خان رابطة الدم، والعرق الذي بذلناه لنؤسس مُلكا مَهيبا، كيف تسلمناه من أبينا مملكة خجولا، ثم بسياستي وبطشك ضممنا ممالك طوعا وكرها" ثم نظر لنقطة الدم وخاطبها بعقله:

"عرضت عليكَ بعد موت أبي أن تكون الملك وأكون وزيرك، لكنك أبيت، وقلت إنك أسد في براثنه، لا يغريك إلا قعقعة السيف وظلال النقع" رفع نظره للسقف وأكمل "أما كان يكفيك أن ما أنت فيه وتترك لي هذا؟" ربتت يده على مقبض مقعده المرصع بالجواهر، واستمرّ مفكرا: "اليوم صار لي عضد من ظهري، سأعلمه فنون الحرب السياسة، سأجعله خير شباب الدنيا، وسيكون وقتها حديث الناس" ثم نظر أمامه متنبها لشيء قد نسيه وأكمل "وسأكون وقتها شيخا، هل من الممكن أن يغره سنّي لينقلب عليّ، وينزع الملك منّي؟ هل من الممكن أن يتجرأ ويفكر في إيذائي فقط من أجل الحكم؟" اتجه نظره لنقطة الدم كأنه ينتظر إجابتها، قام من مقعده وأخذ يتجول في القاعة في عصبية ويفكر: "لا، لن أدع فرصة لأحد أن يأخذ ملكا بنيته

بالعرق والدماء، بدماء أعدائي ودماء أقرب الناس لي" ذهب ووقف مقابل مقعده، واتكأ بيديه على يدي المقعد وحدّثه قائلا:

ـ لن يأخذك أحد مني!

ثم قعد ونادى:

ـ أحضروا (برهان) الكاتب!

جاءه بعد وقت (برهان) يتعثر في خطواته، وقف بين يدي سيده وقال لاهثا:

ـ مرني يا مولاي

أملاه الملك وهو مطأطئ الرأس، يخالط صوته نشيج:

ـ اكتب ما أمليك (أمرنا بإبعاد ولدنا (المنصور)، وزوجنا (راوية) إلى قصر (الفيروز)، وألّا يخرجا منه أو يزورهما أحد، ولا يُعيّن في حراستهما أو يُبدّل إلا بإذننا).

(انعكاس)

اخترق شعاع ضوء مقتحم عينيه المغمضتين مجبرا إياه على الاستيقاظ، فتح عينيه في انزعاج، نظر حوله إذ لا يذكر أين هو، ولا كيف جاء، ثم اكتشف الطامّة، هو لا يذكر من يكون، الغرفة عارية إلا من سرير، فكر وهو يفرك جبهته بيده "من أنا؟ وكيف جئت هنا؟ ولماذا؟" اتجه نحو باب الغرفة المغلق ومد يده ليفتحه بتحفز، انفتح الباب في طاعة وهدوء، تجوّل في الشقّة، وجدها قليلة الأثاث، لا روح فيها، جلس يستعيد أسئلته "من أنا؟ كيف جئت هنا؟ ولماذا؟ ربما إذا نظرت في مرآة لتذكرت شيئا!" نهض متحمّسا يبحث عن مرآة، ربما لم يكن منتهبا في جولته الأولى في تلك الشقة، لكن كان بذرة وهم، وحصاده إحباطا، لم توجد أية مرآة حتى في الحمام، تحسس وجهه بيديه، ونظر إلى ملابسه، كانت قميصا أبيض، وسروالًا أسود، خيم عليه القلق والخوف، وهو يبحث في صفحات ذاكرته البيضاء؛ عله يرى

كلمة تغافل عنها النسيان، لكن لم يتذكر شيئا، ثم اهتدى إلى الخروج وسؤال الجيران عن نفسه، وطلب النجدة منهم، بحث عن حذائه فوجده تحت المنضدة الوحيدة، والتي استقر فوقها مفتاح وحيد أدرك أنه مفتاح تلك الشقة العبوس. ارتدى حذاءه واتجه نحو باب الشقة، وفتحه وخرج.

كانت تخرج القمامة، امرأة قاربت الخمسين، لكنها ما زالت تُشتهى، ممتلئة، ترتدي لباس نوم حريريّ أحمر، يزين صدرها وذراعيها قطع ذهبية لامعة تلفت الأنظار لمواضع الفتنة والإغراء، بمجرد رؤيتها إياه نظرت خلفها لتتأكد من عدم وجود أحد يراقبها من داخل الشقة، ثم نادته:

ـ ولد يا علاء.

وأشارت بيدها أن تعال.

اقترب منها مبتسما ممتعا عينه بها، ونظرتها الداعية للهناء، اقترب منها دون كلمة، وعندما كاد يلتصق بها ألقت نظرة أخرى متعجلة خلفها، وقالت:

ـ صابر مسافر التاسعة مساء، سيغيب لمدة ثلاثة أيام.

ثم أضافت وهي تعتصر ذراعه بلهجة أبعد ما يكون عن الغواية، بل هي أقرب للرجاء.

ـ سأنتظرك.

داعبها بأن قرصها بلطف من ثديها المتضخم، فوأدت ضحكتها المجلجلة في فمها بيدها اليسرى تمنعها من الانفلات، ودفعته بيدها اليمنى بعيدا، وهي تنظر خلفها، كي لا يراها (صابر).

استدعى (علاء) المصعد وراقب المرأة التي أهدته اسمه دون اسمها وهي تغلق باب شقتها ونظراتها ملتصقة به لآخر لحظة. هو يعرفها (حُسنَى) التي تتمسك بأنوثتها لآخر رمق، ويعرف نفسه الآن (علاء شدّاد)، الذي لا تقف أمامه امرأة إذا أرادها، لكن ما تعجب له أنه يتذكر كل ذلك بصورة باردة، كأنها تقرير ضابط مباحث، يتذكر الأحداث ولا يستحضر الإحساس، كأنه فيلم شاهده، هل هذا بسبب شيء ما تناوله أمس في سهرة ماجنة؟ لكنه سعد بأن ذاكرته بدأت تتمطّى في عقله.

أخبره المصعد بأن حان وقت الدخول بصوت جرس قصير، دخل المصعد وأخذ يتأمل انعكاس صورته في مرآة المصعد، أراد أن يتعرف إلى نفسه؛ فلم تكن صورته من المعلومات التي تدفقت إلى رأسه بعد مداعبة (حسنة) القصيرة، دخل إلى المصعد الخالي، نظر إلى انعكاس صورته، مرر يده على بشرة وجهه البيضاء، وشعره البني، أعجبه لون عينيه الفاتح، ونظراتهما الجريئة الواثقة، كان سعيدا بما يراه حتى إنه اتخذ خطوة للوراء ليرى جسمه الصلب، عدّل من ثيابه، لكنه انتبه إلى شيء جعله يلتفت سريعا لإضاءة المصعد، لقد وجد نفسه يرتدي قميصا ورديا، وسروالا بنيا، هذا كان يتذكره جيدا، لقد خرج من بيته بقميص أبيض وسروال أسود، هل كان وقتها في مرحلة الإفاقة مما لا يذكره؟ كيف تبدلت ألوان ثيابه؟ نبهه المصعد أنه قد وصل إلى الدور الأرضي ليستكمل رحلته.

خرج يلقي نظرات مبعثرة في الشارع، كانت منطقة سكناه هادئة مليئة بالأشجار، تتخللها أشعة الشمس الطيبة، التي أبت إثقاله بالقيظ، رأى المحال مفتوحة، ومغسلة تحت مسكنه.

استوقف نظره مكتبة لبيع الكتب الجامعية، تساءل في نفسه:

ـ هل أنا قريب من الجامعة؟

اقترب من الزجاج؛ ليرى الكتب المعروضة للبيع، كان اهتمامه منصبا على كتب الفلسفة، مما جعله يتعجب، ما له والفلسفة؟ هل ستفيد في إشباع (حُسنَى)؟

كان يراقبه من داخل المكتبة شابّ ثلاثيني، يرتدي بدلة رخيصة، ورابطة عنق، وعلى عينيه عوينات سميكة، لم يتبين ملامحه بوضوح بسبب الشمس.

ـ دكتور ! يا دكتور!

سمع صوتا نسائيا عذبا، جعله يلتفت، شعر أن النداء له مثلما يشعر كل مُنادٍ، كان صوت فتاة باهرة الحسن، شعرها القصير الأحمر المموّج تاج يزيّن وجها، لها أعين زرقاء لامعة، كانت سعادته برؤيتها لا توصف، وخفقان قلبه الخَجل يهمس في أذنه باعتراف بالحب، تساءل في عقله:

ـ كيف لم أتعرف على صوت (شيماء شِندي) فاتنة دفعتها، أجمل تلميذة له في الجامعة؟

ثم انتبه، وتساءل في رعب:

ـ تلميذة لي؟ كيف؟

أدار ظهره لها ونظر لصورته في زجاج المكتبة، لم يكن هناك من هو وراء الزجاج، كانت تلك صورته ذات الشعر الخشن والعوينات الضخمة، استدار بعينين زائغتين، وأنفاس متسارعة، وروح تكاد تفارقه، سيطر عليه الرعب، تساءل عما يحدث، وكيف تبدل شكله وقلبه؟ لماذا يجب أن ينصاع لمشاعر الحب المفاجئة، والخجل الذي يجري في عروقه، ويبدو في عرقه الذي ينبت قطراتٍ على جبينه.

ـ دكتور (حسن)؟ ماذا بك؟

جاوبها بكلمات تتساقط من فمه كحبات الرمان المنفرطة على غير نسق، وأنفاس متلاحقة:

ـ لا شيء!

ثم استجمع شتات كلمات، وأضاف مداعبا:

ـ لم أحصل على الدكتوراه بعد، وربما لن أحصل عليها لو سمعك دكتور (شحاتة) تناديني بها!

ضحكت (شيماء) مجاملة، وقالت:

ـ حضرتك أستاذي على كل حال، أريد أن أكلمك في موضوع لا علاقة له بالدراسة.

ـ خير!

ـ موضوع يخصنا نحن الاثنين.

تلعثم، وعدّل من رابطة عنقه في حركة عصبية. انطلقت (شيماء) تُضيف:

-هل تعتقد أني لا ألاحظ نظراتك لي في الجامعة؟ أنا لا أحب أنصاف الحلول، أنا أريد أن أجلس معك لنتحدث.

ـ أنا يسعدني ذلك فأنا...

ولم يستطع إتمام كلامه، إذ تاهت الكلمات عن شفتيه، فعاجلته (شيماء) بأن مسكت يديه، وقالت:

ـ أعرف مقهى راقٍ ومناسبٌ للجوار.

أشارت لصديقتها الواقفة بعيدا أنها راحلة، فأجابتها بإيماءة، ونظرت في هاتفها الخلوي.

قعدت في المقعد القابل من المنضدة، لمح في عينيها توترا لم يكن متواجدا قبل دخولهم ذلك المقهى، هل ندمت؟ تجاهل أفكاره واستثمر اللحظات في تأمل ماء صافٍ لا كدر فيه، يتأمل حلما رقيقا تجسد، كان توترها يزداد، يداها كانتا تتعرقان، ونظرها معلق بباب المقهى، جاء النادل يسألهم عما يريدون، سارعت بطلب ليمون، فطلب مثلها، نظر لها ومرر يده على شعره الخشن، كأنه ينفض الخجل عن نفسه وقال:

ـ إن هذا الموقف حلم يتحقق.

تبسمت له اصطناعا، فأضاف:

ـ ربما، بل بالتأكيد لن أجيد التعبير عن مشاعري التي فاضت، فرأيت النذر اليسير على وجهي.

لأول مرة تهجر عينها باب المقهى، والتفتت إلى كلماته الأنيقة، ورفعت حاجبيها في إعجاب، فأكمل، ويعدل من وضع عويناته:

ـ أتعلمين؟ أنا أفعل كثيرا من الخير، لا أتباهى بذلك، لكنها الحقيقة، وأظن أن ما أنا فيه الآن هو جزاء هذا الخير.

احمرّ وجهها خجلا وأسبلت نظراتها حياءً، همت بقول شيء ثم أحجمت، وهبت واقفة قائلة:

ـ قم لنرحل

ـ لم؟ هل أغضبتك في شيء.

قبل أن تجيبه اتسعت عيناها ونظرت جهة الباب، مما دفعه للنظر مثلها، وجد شابا ذا جسم رياضي مثالي، وسيم تعلن ملابسه عن انتمائه لأسرة ثرية، بحثت عينا الشاب حتى رآهما، فكان بجوارهما في لا زمن، توجه الشاب بحديثه إلى (شيماء):

ـ إذن ما أخبرتني به (عالية) صحيح؟

ـ لا شأن لك، أنت من طلب إنهاء ما بيننا.

ـ كان هذا أمس في شجارنا يا بلهاء، فاليوم تخرجين مع هذا الأبله.

قام (حسن) من مجلسه مدعيا رباطة الجأش وصرخ:

ـ احترم نفسك!

تلقى الجواب من الشاب لطمة أسقطته كتمثال حجري، اندفع الشاب نحوه، ورفعه من ملابسه حتى وقف على قدميه، وهم أن يضربه، فأمسكت (شيماء) بيده قائلة:

ـ اتركه، ليس بيننا شيء صدقني، لأجل خاطري دعه يرحل.

فدفعه الشاب فكاد يسقط ثانية، خرج دكتور (حسن) من المقهى لاهثا ونظر إلى الشابين من وراء الزجاج ليرى عتابهما الصاخب الذى أخذ الهدوء سريعا، وقامت (شيماء) بإقناع فتاها ليقعد في مقعده.

مشى في الشارع على غير هدى يشعر بالاختناق من إهانته أمام الناس، حتى سمع صوت المؤذن ينادي معمّري المساجد، هفا قلبه للصلاة، دخل فتوضأ وضوءا حسنا وخرج وصلى تحية المسجد، وجلس يسبح في خشية، حتى علا صوت الإقامة، وقف في الصف الأول، منتظرا الإمام ليبدأ، لكن لم يتقدم أحد، نظر حوله، فوجد كل المصلّين ينظرون إليه متعجّبين، بدأ يحك وجهه فاصطدمت أصابعه

بلحية كثة، وتفحص ملابسه فإذا هي جلباب أبيض قصير، وتعلو رأسه غترة باللون نفسه، تنهّد في استسلام وأمّ الناس في صلاتهم.

بعد إنهاء صلاته وتسبيحه خرج من المسجد، وذهب إلى سيارة متوقفة، انحنى ليرى في مرآتها الجانبية شيخا ابيضت لحيته قليلا، على إحدى عينيه بياض، يبدو فوق الخمسين، اعتدل وهم بالسير فوجد رجلا ينظر إليه، اتجه نحوه الرجل وقال:

ـ خيرا، كفى الله الشر يا شيخ (معوّض)؟

ـ لا شيء يا منصور، كيف حالك ؟ وحال أولادك؟

ـ الحمد لله

ـ البقاء لله في والدك، متى عدت من البلد؟

ـ أمس ليلا

ـ حمدا لله على سلامتك! العمارة كلها تعزيك، أنت لست حارس عقار أنت أخونا.

ـ أكرمك الله، أريدك في موضوع يا شيخ.

ـ تحت أمرك!

أخذه منصور وجلسا في مدخل أحد العقارات، أعد منصور كوبي شاي على الرغم من اعتذار الشيخ، أمسك الشيخ (معوّض) بكوب الشاي، وبدأ يحتسيه، ثم سأل (منصور) مباغتا:

ـ هل تعرف فتاة جامعية اسمها (شيماء شندي)؟

ـ أكيد، أحلى بنت في المنطقة، ابنة القبطان (علاء شندي)، أبوها ما شاء الله، لكن لو تفكّر في خطبتها للمهندس محمد ابنك، فهي شبه مخطوبة لطالب في كلية الشرطة، شاهدتهما معا أكثر من مرة، يبدو عصبيا هذا الشاب.

تحسس الشيخ (معوض) موضع اللطمة دون تعليق.

سأل الشيخ (معوض) مرة ثانية:

ـ هل تعرف سكان العمارة التي تعلو المغسلة؟

نظر له منصور بخبث وأجاب:

ـ منذ متى تتبع أخبار الناس يا شيخ؟ ماذا تريد أن تعرف؟

ـ يوجد شاب هناك اسمه (علاء)..

بصق (منصور) على الأرض اشمئزازا، وقال:

ـ إنه مستأجر، أنا من وفّرت له تلك الشقة منذ عام، وغشني في (السمسرة).

كاد عقل (معوّض) يطير، إذا كان هناك (علاء) كما أن هناك (معوض)، فأيهما هو؟

أخفض (منصور) صوته وأضاف:

ـ وهو يعرف المرأة (حسنى) في الحرام!

جفل وسأل:

ـ كيف عرفت؟

ـ أنا أعرف كل ما يحدث في المنطقة، زوجها لا يدري وهي تلهو مع ولد في عمر ابنها.

ثم هز كتفيه وأضاف:

ـ يعني لو كانت أنجبت، نعود لموضوعنا يا شيخ.

ـ خير؟

ـ مات (الحاج) وكان يملك ستة أفدنة، أنا وأخي من كنا نزرعها معه، ونتعب ونشقى فيها، حتى عندما أصبحت أعمل في الحراسة،

كنت إما أذهب أنا أو أرسل الأولاد لمساعدة عمهم.

ـ ثمّ؟

ـ نحن ولدان وأربع بنات، كيف نقسم الأرض؟

ـ هل الأرض باسم أبيك وحده؟

ـ نعم!

ـ إذن، كل ولد فدان ونصف وكل بنت ثلاثة أرباع فدان.

ـ يا شيخ أنا وأخي من شقينا وسنظل نشقى في تلك الأرض، نعطي أرضنا لأزواج أخواتنا بتلك السهولة؟

ـ هي أرض أبيك، وتعطيها لأخواتك إرثا، هذا حقهم.

ـ يعني ألا يوجد حل في الدين لتلك القضية؟

حرك الشيخ رأسه أن لا، فأعرض عنه مغضبا كأن الشيخ (معوّض) خانه لأنه لم يستخرج من الدين حلا يبيح له الاستيلاء على الأرض.

ترك الشيخ كوب الشاي وقام إلى الشارع، لا يعرف كيف سيصبح خلال الدقائق القادمة، يستبد به ملل وحيرة، ينتظر الإنسان

التالي ليقرر من سيكون.

توقفت أمامه سيارة ذات زجاج معتم، فُتحت النافذة الخاصة بمن يجلس جوار السائق، فظهر وجه شابّ وسيم، متحجر الملامح، كلمه بصوت آليّ:

ـ كيف حالك يا حاج (كرامة)؟ في المكان والزمان كعادتك.

وجد (كرامة) نفسه عظيم البطن، ثقيل الحركة، متسارع الأنفاس بسبب البدانة والسن، يرتدي جلبابا صعيديا، دخل السيارة، التي مهما اتسعت فهي ضيقة على من هم مثله، تحدث فإذا بلكنة صعيدية قحة تخرج من بين شفتيه:

ـ نشكر الله يا وائل بك، نذهب لشقة جديدة أخرى؟

لم يجبه (وائل)؛ فالحاج (كرامة) يعرف الإجابة، كل لقاء في مكان مختلف يتم الاتفاق عليه.

دخلا إلى شقة مفروشة مع السائق، كان بها شابان أصغر سنا ومكانة من (وائل)، إذ هبا واقفين بمجرد رؤيته. سبق (وائل) الحاج (كرامة) إلى غرفة صغيرة، والآخر يتبعه لاهثا. أغلق كرامة الباب، ثم

جلس إلى طاولة، يتنفس بصوت عالٍ يشبه خوار الثور، أخذت تفاصيل حياته أو حياة (كرامة) تتدفّق إلى عقله، ويألفها وجدانه، تكلم (وائل):

ـ ما الأخبار يا حاج؟

ـ تمام يا بك، المقبرة الجديدة ممتلئة، وخيرها كله جاهز، بمجرد إعلامي بوجود الشاري سأوصلها في المكان الذي تأمرني به.

ـ هل أحضرت عينة؟

ـ طبعا يا بك.

ناوله (كرامة)، لفة صغيرة كان يخبئها في ملابسه، فأخذها (وائل).

ثم نظر ل(وائل) وقال:

ـ ألن نرى (الباشا) الكبير أبدا؟

التقط (وائل) هاتفه الخليوي وسأل (كرامة) بوجه جامد:

ـ أتريد أن تكلمه؟ أطلبه لك؟

ـ يا بك، أنا لم أقابله منذ عشر سنوات، منذ بدأنا العمل معه، كل تعاملي كان معك، ومن قبلك كان حسام بك.

ـ ماذا تريد؟

ـ أريد مقابلته!

ـ لم؟

ـ لأمر خاص.

دون كلمة أمسك (وائل) بهاتفه واتصل برقم:

ـ مساء الخير يا (باشا)

ثم أخبره بطلب (كرامة)، استمع للـ(باشا)، ثم أعطى الهاتف ل(كرامة)، ترك (كرامة) عصاه وأمسك الخليوي بكلتا يديه، ثم وضعه على أذنه وقال:

ـ معالي الباشا، مشتاقون والله

أجابه صوت جاف:

ـ ماذا تريد يا (كرامة)؟

ـ مقابلتك يا باشا

ـ لا!

ـ لماذا يا باشا؟ أنا رجلك منذ عشرة أعوام؟

ـ ماذا تريد يا (كرامة)؟

ـ الولد ابني، (رجب)؟ تخرج في كلية (الحقوق)، مخه نظيف، وذكي، ويتمنى رضاك يا باشا!

ـ سأوظفه في شركة بترول.

ـ لا يا باشا، نريده أن يعمل معك!

ـ معي؟ أين؟

ـ سيكون خادمك وعينك!

ـ انسَ يا (كرامة).

ضغط (كرامة) على حروفه وقال بثبات وتهديد:

ـ يا باشا، أنت تعلم أني ملك بلدتي، وبلدتي في أرضها خير كثير، وهذا الخير كله بين يديك، لكني أخاف أن ينقص خيرها، أو يذهب لشخص لا أحبه مثلما أحبك.

كان تهديده وثقته بيّنين، حتى إن (وائل) بك نظر متعجبا

للحظات، ثم استعاد وجهه الحجري.

مضت لحظات كن الصمت، و(كرامة) منتشٍ بقوته ومناطحته الباشا، فقريبا سيُدخل ابنه ليعمل في مؤسسة الباشا الحصينة.

جاءه رد الباشا بكلمتين:

ـ اعطني (وائلا)

أعطى (كرامة) الهاتف لوائل، الذي استمع في ثبات للباشا ثم أنهى المكالمة، ونادى بصوت صارخ:

ـ (تهامي)، يا (تهامي)!

دخل مهرولا أحد الذين قابلهم في مدخل الشقة وكان يبدو على تهامي أنه أصغرهم سنا ونظر إلى (وائل) في انتظار الأمر.

ـ اخلع فردة حذاء، وضعها على الطاولة أمام الحاج، واخرج ولا تُدخل أحدا حتى أخبرك.

نظر (تهامي) لـ(كرامة) نظرة خاطفة ثم نفذ الأمر سريعا، و(كرامة) متوجس مما يحدث. قام (وائل) مكانه ليقعد في مقعد أمام الحاج ثم أشار للحذاء وهم مثبت عينيه على ضيفه، وقال:

ـ قبّل الحذاء.

انتفض (كرامة) واقفا وهو يعصر عصاه بيده، وصرخ:

ـ أجننت يا هذا؟

في سرعة تحرك (وائل)، وأمسك ذراع (كرامة) بطريقة احترافية بيد واحدة جعلته يسقط على ركبتيه في ألم، أمسك (وائل) الحذاء وضرب رأس (كرامة) بكعب الحذاء فشُجَّت، وسالت الدماء، صرخ (كرامة):

ـ ماذا تفعل؟ أجننت؟

أمطرت يد (وائل) ضربات بكعب الحذاء على أماكن متفرقة من جسد (كرامة) الواهن لسمنته، وهو يصرخ في ألم وغضب ثم استبدل بالغضب الرجاء والتوسل وطلب العفو، و(وائل) مستمر في الضرب بوجه هادئ بدون أي انفعال، وجد (وائل) صعوبة حتى سمع (كرامة) وهو يطلب تقبيل الحذاء، بعدما قبل الحذاء، تركه وجلس على مكتبه، فسقط (كرامة) على الأرض لاهثا، والدم يغرق جلبابه، خرج (كرامة) من المكتب على أربع مما يعانيه.

عندما وصل مدخل الشقة أمام الشباب المنتظر وتهامي المفتقد لفردة حذاء، بدأ يحاول الوقوف، عندما وقف وهم بالخروج من الباب سمع (وائل) يقول من الداخل:

ـ سأخبرك بالتعليمات فيما بعد، هل تسمعني يا(كرامة)؟

لم يجبه وحث خطاه ليهرب، وصوت (وائل) يتردد خلفه:

ـ يا (كرامة)... يا (كرامة)!

تزايدت طاقته قليلا فصار قادرا على الهرولة، في أثناء هرولته لمح (شيماء شندي) تجري نحوه قائلة:

ـ أريد أن أعتذر يا دكتور(حسن) لم أقصد ما حدث، سامحني يا دكتور (حسن)... يا دكتور (حسن)!

لم يجبها واستمر في هرولته التي استحالت عَدْوا، أراد أن يعود للشقة التى خرج منها هربا من هذا الجنون.

ـ هل وجدت حلّا في الدِين يمكنني وأخي من الأرض؟ يا شيخ (معوّض)!

كان هذا صوت (منصور) الصارخ من شارع جانبي.

عدا بسرعة، بأقصى ما يستطيع، حتى وصل العمارة، قفز درجات السلم حتى وصل شقته، بحث في جيب سرواله عن المفتاح حتى وجده، وفي أثناء ذلك كانت (حسنَى) تدعوه ليدخل شقتها، وتخبره أن (صابر) سافر.

دخل شقته وأغلق الباب خلفه وجلس على الأرض لاهثا، تحدث إلى نفسه فيما يشبه البكاء:

ـ ماذا يريدون مني؟ لماذا لا يتركونني؟ ألا توجد مرآة هنا؟ ماذا يريدون؟

استبدت به رجفة، وشعر ببرودة شديدة تخوض في خلايا جسمه، سقط على الأرض في ارتجاف مخيف، أخذ يردد "ماذا يريدون؟" ثم بدأ يهدأ ويردد لنفسه "ماذا أريد؟" حتى نام.

*****

استيقظ على صوت رنين، وبعدما انتبه اكتشف أنه هاتف خليوي في جيبه، نظر فيه وكان مكتوبا (علي السواق)، رد فجاءه صوت:

ـ صباح الجمال يا باشمهندس أحمد، أنا منتظرك عند البيت،

مستعد لنذهب للموقع؟

نظر حوله فوجد حقيبة ملابس معدة، ووجد نفسه مرتديا (جينز)، وقميصا صيفيا، فرد:

ـ أنا مستعد يا (علي) سأنزل لك حالا.

أخذ حقيبته وفتح باب الشقة ليخرج، لمح باب شقة (حسنَى) يُغلق سريعا، ويقف أمام المصعد شاب يعرفه جيدا، إنه (علاء)، تقدم إليه واقترب وأخذ ينظر لـ(علاء)، فالتفت له (علاء) وسأل بفظاظة:

ـ هل هناك شيء؟

اشمأزّ (أحمد) أن يجيبه، وآثر النزول بحقيبته على السلم، وجد حافلة العمل في انتظاره، دخلها مسرعا، واعتذر عن التأخير، ثم جلس في مقعده.

راقب الطريق من النافذة فلمح دكتور (حسن) ينظر للكتب المعروضة خلف زجاج المكتبة، و(شيماء شندي) مقبلة عليه من الخلف لتكلمه، تذكر شيئا فهو لم ينظر في أية مرآة، ثم استرخى في مقعده وهز كتفيه في لا مبالاة، فهو يعرف كيف سيبدو على كل حال.

(الأراجوز)

في غرفته الصغيرة، كان يشرب جرعات من زجاجة خمر عالية الكحول، ويضع أصباغه بسخاء، علها تساعد في اختطاف ضحكات منزوية خلف شفاه عابسة، وعده صاحب المسرح بمقابل دسم إذا كان موفّقا، ليس المقابل المادي فقط هو ما يشعل رغبته في النجاح، إن الإضحاك قوة، بأس شديد، وسلطان على المصريين، الذين بدأت قدرتهم على استحداث النكتة تخفت، صاروا يستعينون في مزحاتهم بجمل من السينما، يرددونها في مواقف تناسبها، عزت الضحكات؛ لكثرة الأهوال التي تزاحمت في صدر شعب حائر، إذا استطاع إضحاكهم سيجلونه إجلال الأئمة في المساجد، سيعتبرونه وليّا جاء بكرامة القهقهة، أدرك مذ رأى بعض فيديوهات اليوتيوب المترجمة، كيف يسخر المضحك من المسيح والكنيسة، ويسقط هيبة الإله في عين جمهوره الذي تتعالى ضحكاته، جمهوره الذي هو بلا شك مكتظ

بالمسيحيين بجوار الملاحدة، إنها سلطة الضحك، كلنا ضعيف أمام الضحك، نلتمسه في ظلام الجدية والهموم الجاثمة فوق الصدور، قرر أن يضحكهم مهما كلّف الأمر.

ذهب ووضع زجاجته على الأرض بجوار مدخله إلى المسرح، ليلتقطها في خروجه، خطا خطوته الأولى على المسرح ينظر إلى الناس متوجسا، وجوه عابسة، متحدية، راغبة عن الانصياع للعصا، راغبة في الانصياع للجزرة، أظهر تعثرا مفتعلا وسقط على الأرض في سخافة، لم يضحك أحد، حكى ذكرياته في استخراج أوراقه من مؤسسة حكومية ساخرا من الروتين، فتثاءب رجلان في الصف الأول، أسقط في يده، ألّف نكاتا جديدة ارتجالا، روى نكاتا قديمة من زوايا ذاكرته، لكن جمهوره له وجه صخري لا يلين، مرت خمس عشرة دقيقة بطيئة بطء الحزن، كبر فيها عمره، وملّ قلبه، امتلأ صدره ضيقا وغضبا، فنظر إلى جمهوره وقد احمرّ وجهه، وصرخ:

ـ اللعنة عليكم، جمهورٌ كئيب

ثم أدار ظهره ليخرج من المسرح، لكنه ما لبث أن توقف، لقد سمع شيئا، لقد سمع صوت ضحكات، كانت خافتة، لكنها موجودة، التف ليرى ذلك المُجامل، لكنه كان مختبئا في الجموع، قرر أن يعيد الكَرّة، فألقى كلمة نابية متبوعة بقوله:

ـ هل أقطّع جسمي لتضحكوا؟

بدأت الضحكات الحيية تطل برأسها مستكشفة، وتعلن وجودها من الصفوف الخلفية، بدأت خلايا (الأراجوز) تتنفس من جديد، طموحه الذابل، بدأ يرتوي من قطرات الضحك المتساقطة، أضاف الأراجوز:

ـ ربما علي أن أدغدغكم تحت الإبط، لكنها الرائحة.

اكتسبت الضحكات مزيدا من الثقة للإعلان عن نفسها، وأصبح الجمهور بين ضاحك ومبتسم، نزل من على خشبة المسرح، واقترب من شابّ يبتسم بتحفظ دون العشرين، ثم أخرج الأراجوز من جيبه قرصا أزرق اللون شهير كمقوٍّ جنسي، وقال للشاب:

ـ لِمَ تضحك ببخل؟ لو أن أباك سيحرمك من المصروف إذا ضحكت، فأعطه هذا القرص، سيحرمك من المصروف لكن أمك ستعطيك الضِعف.

انفجرت القاعة بالضحك مع الشابّ الذي تخلى عن تحفظه دون مقاومة، حتى الأراجوز نفسه بدأت ضحكاته تعلو لدرجة أنها بدأت تُبهم بعض حروفه، ارتفع صوت الضحك حتى صار يجذب المارّة في الشارع ليشتروا تذاكر وينضموا للجمهور لمشاهدة المضحك العبقري الضاحك، اقترب من امرأة وأشار إلى صدرها، وقال:

ـ احترسي، فقد يؤدي وزنه لحدبة بالظَهر.

ثم لعق شفتيه وهو ينظر لصدرها في شهوة كاريكاتورية، فانزوت ابتسامة المرأة قليلا ونظرت للناس حولها، كانوا مستغرقين في ضحك عالٍ هيستيري، فلم تملك أن تقاوم ضحكتها المنزوية وهي تعاود الإعلان عن نفسها، بل تعلن سيطرتها على ملامح المرأة التي سقطت في دوامة الضحك مع الجمهور. أراد الأراجوز أن يختبر سلطانه على المسرح الذي اكتظ بالجمهور، فبدأ تكرار الحركات الذي ابتدأ بها

عرضه ولم تُضحك أحدا، فإذا بالناس يصرخون من الضحك، ويختلط الضحك بالسعال يلتقطون فيه أنفاسهم الهاربة، ذهب إلى خلف المسرح، ليجد زجاجته حيث تركها، وأشار بها للجمهور المترنح ضحكا مُحيِّيًا، وجرع جرعة، لم يستطع استكمال الشُرب من ضحكه، وقال:

ـ تضحكون على الخمر؟ تستحقون الحرق في نار جهنم.

بدأ يسكب الزجاجة على ستائر المسرح والأجزاء الخشبية الواعدة بسرعة الاشتعال، أخرج أعواد الثقاب وأشعل الحريق الذي انتشر بسرعة وشراهة، والأراجوز يتابع، والجمهور يتابع معه في ضحك وسعال، دون أن يبدي تحركا أو خوفا من الوحش الأصفر اللاهب، ظل صوت الضحك مرتفعا ممزوجا بالسعال، ثم بدأ يزداد صوت السعال ويخفت صوت الضحك، حتى اختفى الضحك، وبقي السعال، ثم بدأت الصرخات.

(خدم وأسياد)

في مجتمع التضاد لن تتعجب، لن تتعجب عندما يخرج مُصلٍّ من المسجد مسرعا من أجل موعد مع أحدهم يكون فيه راشيا أو مُرتشيا، لن تتعجّب عندما ترى ساترة شعرها ترتدي ملابس تكاد تتفجر عنها من ضيقها بجسمها الفائر، لن تتعجب عندما ترى سيارة فارهة، في حجم شقة صغيرة، تسد شارعا ضيقا، وترى صاحبها الثري يدخل إلى شقة قذرة هي مقر الشيخ (عرفة)، بمجرد أن رآه (عبده البغل) خادم الشيخ حتى هب واقفا يرحب بالضيف رفيع المستوى، (عبده) ضخم الجثة، كثيف شعر الجسد كالقرد، كث الحاجبين، ضيق العينين، أطال ظفر خنصره، ليداعب به خادمات الفراش، في عنقه قلادة فضية سميكة ظاهرة من تحت جلبابه الأبيض، وفي يده اليسرى مسبحة لا يتركها بأمر الشيخ أو كما يحب أن يُدعى (سيدنا).

ـ معالي الباشا أهلا أهلا، تفضل هنا.

أشار (عبده) إلى مقعده معتقدا أنه أنظف المقاعد لمجرد أنه يقعد عليه.

ـ لا، سأقعد هنا.

شَخر (عبده) شخرة عالية حادة، أجفل لها جميع الحاضرين وقال:

ـ والله لا يمكن، يجب أن تقعد مكاني حتى أُبلغ (سيدنا)!

قعد (الباشا)، ممسكا حقيبة سوداء تليق بمثله.

دخل (عبده) إلى غرفة (الحضرة) كما تسمى، غرفة فسيحة مُلحق بها غرفة ضيقة ويفصل بينهما ستار، لم يكن الشيخ في مكانه، كانت تجلس في مكان الزبون امرأة تلك التي أدخلها مع ابنتها الجميلة التي لا يتخطى عمرها خمسة عشر عاما، ويبدو عليها أعراض الحمل، تعجب (البغل) لم لم تذهب لطبيب يستر العار؟ ما نفع (سيدنا) هنا؟ كانت الأم ممتلئة، ترتدي السواد، واضعة يديها على ركبتيها، تعتصر يمناها منديلا قماشيا أبيض، لا تقوى أن ترفعه لتمسح الدموع المنهمرة في صمت من عينيها المطيرتين، بحث بعينيه، فوجد شيخه في تلك الغرفة الصغيرة، ستارها لم يكتمل إسداله، فظهر ظهر الشيخ و الفتاة أمامه

نائمة على سرير قصير مرتفع، يشبه ما عند أطباء النساء، عارية النصف السفلي، ورافعة قدميها؛ لتسمح للشيخ بالمعاشرة، وهو واضع طرف جلبابه في فمه، ومسقط سرواله، ويتحرك في عجلة، وقف (عبده) منتظرا انتهاء الشيخ (عرفة) مستمعا لبكاء الفتاة الذليل، وتأوهاتها الناحبة.

تخشب جسم (عرفة) ونظر للسقف مغمض العينين، فرأى (عبده) وجه الرجل الستيني الذابل في لحظة نشوته، كان أكثر قبحا من المعتاد، ابتعد عن الفتاة لتكمل بكاءها، ونزع العازل الطبي عن عضوه، وألقاه في القمامة، ثم رفع سرواله وترك ذيل الجلباب ليسقط مبتلا بلعابه، والتقط عصاته التي كانت مستندة على الحائط.

ذهب (الشيخ عرفة) مترنحا عَرقا بالكاد تساعده عصاه الخشبية النخرة ليقعد في مكانه، ويكاد لهاثه يخفي نحيب الفتاة، قامت الفتاة لترتدي ملابسها، ومازالت أمها على حالها الصنمية، حتى إذا ما اقتربت الفتاة من مقعد أمها، سقطت على ركبتيها ودفنت رأسها في صدر أمها وارتفع بكاؤهما، و(عبده) يرى الشيخ يتابع في هدوء،

ممسكا سبحته في احترافية، وعندما انتهى البكاء، قامت الفتاة وقعدت بجانب أمها، ملتصقة النظرات بالأرض، تائهة عما حولها.

قال (عرفة) موجها حديثه للأم الملتاعة، بهدوء وبتعاطف باد:

ـ كما أخبرتك، بعد اكتمال القمر القادم، اذهبي بها لأي طبيب، سيجدها خير البنات ولا يوجد حمل، اطمئني.

أخرجت الأم من حقيبتها مظروفا أبيض ممتلئا بالنقد وأعطته إياه، وأخذت ابنتها المُنهكة وهي تكاد تحملها حملا وخرجا.

سأل (البغل) بمجرد خروجهما:

ـ أكنت تُفرغ أم تملأ؟

انتبه له الشيخ وأذاقه التهديد:

ـ ليس من شأنك، أدخل التالي.

ـ (عماد بك حساب) في الخارج.

ـ فعلا أنت بغل! أدخله يا حيوان.

دخل (عماد بك) ومكث عشرين دقيقة، ثم خرج كما توقع (عبده) بدون الحقيبة.

بعد الانتهاء من آخر الزبائن، دخل خادم الشيخ عليه، والخوف ينكئ قلبه، ويبدو على وجهه.

ـ سيدنا؟!

ـ ماذا تريد؟

قالها (الشيخ) بغلظة.

ـ أريد زيادة

ـ ماذا؟! ألف جنيه أسبوعيا لمجرد البقاء مثل أحد المقاعد وتريد زيادة؟ هذا بالطبع غير الحسنة التي تأخذها من كل زبون!

ـ يا سيدنا...

ـ اسكت، لا زيادة، وإلا سأجعلك تعمل بلا مقابل بل وتدفع لأرفع عنك أذاي، أتفهم؟

ارتعدت فرائص (عبده) وقال:

ـ حسنا يا سيدنا

ارتفع فجأة صوت أجش:

ـ السلام عليكم

انتبه الشيخ ونظر بغضب إلى (عبده) وقال:

ـ ارحل من أمامي، وأنا سأغلق الشقة كالعادة.

ثم نادى:

ـ ادخل يا مرسي.

خرج (عبده) ورأى مرسي صديق الشيخ الوحيد يدخل ليجلس معه بعد رحيل الزبائن مرة أو مرتين شهريا، شعر ببعض الإثارة، فأراد الاتصال بأقرب العاهرات لقلبه، فإذا بهاتفه يعزف نغمته ليجد اسمها ظاهرا على الشاشة (سوسو عرب).

*****

دق باب شقة (عبده البغل)، فقام ليفتح ل(سوسو)، امرأة تحث خطاها نحو الثلاثين، سمراء، كحيلة العينين، باهرة الجمال، قلل من هذا الجمال فوضى الألوان المتصارعة على وجهها، نظرة عينها تبوح بمهنتها بلا مواربة، ترتدي ملابس جينز ضيقة. دخلت تحمل كيسا بلاستيكيا دون إلقاء التحية، واتجهت للأريكة وجلست، وبدأت تُخرج محتويات الكيس على المنضدة، قالت:

ـ لقد أحضرت عشاء

أجاب وهو يجلس بجانبها:

ـ وهل أحضرتيه معك؟

ـ ما هو؟

ـ قلبي، لقد أخذتيه معك المرة الأخيرة.

ضحكت ضحكة رفيعة قصيرة، وضربت كتفه بكفها في دلال.

بدأ أكل الطعام فسألته وهي تمضغ طعامها:

ـ ما أخبارك مع (عرفة)؟

ـ خنزير، لم يقبل طلبي للزيادة!

ـ زيادة بعد عام واحد؟ لن يحدث.

وابتعلت ما في فمها برشفة من زجاجة بيرة.

ـ هذا الخنزير لديه كثير من الأسرار، سأكتشف أحدها يوما، وعندها سآخذ عينيه، هو من سيقول لي (سيدنا)، وأنت؟ كيف حالك؟

أشارت بكفيها أن الأوضاع ليست جيدة، رفع حاجبيه متسائلا، فأجابت:

ـ ليس موسم زيارات العرب، قلما أجد زبونا!

ـ هل أنت متخصصة؟ ما أكثر المصريين؟ الشباب يحك في الحائط.

نظرت له مستنكرة:

ـ مصريون، لا، أنا في هذا العمل منذ عشر سنوات، لا يوجد أسوأ من المصريين وبخلهم.

وأخذت تعد باستخدام أصابعها وهي تُضيف:

ـ من السعودية، والإمارات، وقطر، وحتى الأردن، يأتون سائلين عني بالاسم، ثم تقول لي: مصريون!

واقتربت منه وأخذت تدلك صدره مضيفة:

ـ لا يوجد سوى مصري واحد يشبعني.

ـ وكيف حال (سيد بسكلتة)؟

عادت إلى جلستها السابقة تكمل طعامها

ـ جيد، وإذا سمعك تقول (بسكلتة) لقتلك.

شخر (عبده) واستدركها:

ـ لكنه كذلك!

ـ هذا سر لا يعرفه إلا مائة مليون مصري.

ـ وكيف هو معك يا (سوسو)؟

ـ يظل عصبيا مع جميع الناس، حتى يظهر (حسن الحلو) ما أن يظهر حتى تعود روحه له و يبتسم.

ـ من بين كل القوادين تختارين (بسكلتة)؟

ـ افهم، لأنه بسكلتة لن تستطيع أي بنت ممن معي أن تسيطر عليه أو تخدعه، ولن يستطيع قواد آخر أن يقف أمامه، لأنه سيريد دائما إثبات قدرته ورجولته المثقوبة بعضو(حسن الحلو)، هل تسمع عن (سلامة شياكة)؟

نظر لها مندهشا وأطلق شخرة قصيرة، فأومأت برأسها موافقة، وأشارت بيدها إشارة الذبح وقالت:

-هو من فعلها، لذلك ما بيني وبينه عمل فقط، ما دام يأخذ نسبته أنا تمام.

دق بإصبعه على رأسها وقال:

ـ هنا يوجد سُمّ

فأمسكت بذَكَره من فوق ثياب وعصرت بلطف وقالت:

ـ وهنا يوجد عسل.

شدته من تلابيبه ببطء حتى اعتلاها وبدأ يقبلها على وجهها ببطء وقوة وهمس في أذنها:

ـ قوليها!

ـ تؤ

ـ قوليها، مشتاق لسماعها

ـ تؤ

فعصرها حتى كاد عظمها ينكسر، وهمس:

ـ قوليها، إنها تشعلني نارا

فاحتضنت رأسه ووضعت شفتيها قرب أذنه وقالت باحتراف:

ـ أنا.. خادمتك

فاشتعل (عبده) نارا

*****

ذهب (عبده) لمقر عمل الشيخ في عصر اليوم التالي لينظف المكان قبل أن يأتي الشيخ بعد المغرب، بدأ بتنظيف غرفة الحضرة وألقى ما في سلة المهملات، فرأى العازل الطبي الذي استخدمه الشيخ ورأى شريطا لدواء القوة الجنسية الشهير، فأطلق شخرة وسب الشيخ قائلا:

ـ ابن الزانية

*****

بعد اكتمال القمر التالي بعدة أيام، رأى (البغل) المرأة وابنتها التي ضاجعها الشيخ علاجا.

ـ أقابل سيدنا يا ولدي.

ـ بالدور يا أمي.

ـ لا أريد شيئا منه، دقيقة واحدة، ليس أكثر.

ووضعت في يده مائة جنيه، نظر (عبده البغل) إلى الفتاة، كانت علامات الحمل مختفية، لكن الفتاة تغير فيها شيء، صارت تبالغ في

التزين، تلوك اللبان بشيء من الرقاعة، وفوق كل هذا تنظر له في إغواء مما جعله يتمتم بصوت خفيض:

ـ ذاقت واشتاقت

فقالت الأم:

ـ نعم..؟

ـ لا شيء.

انفتح باب الحضرة ليخرج أحد مريدي الشيخ فقال (عبده البغل):

ـ تفضلي!

ما أن دخلت الأم ورأت الشيخ حتى سقطت تحت قدميه تقبل حذاءه وتردد:

ـ يحميك يا بركة يحميك.

خرج تاركا المرأة تدعو للشيخ والفتاة تهتز وهي في مكانها في رقاعة.

انتهى اليوم ككل يوم، وعندما ألقى السلام على الشيخ ليرحل كان رد الشيخ:

ـ انتظر

وقف مكانه وقال:

ـ خير يا سيدنا؟

أشار إلى مقعد وقال:

ـ اقعد

قعد الخادم قلقا، وسيده ناظر إلى الأرض دون كلام، وكلما مرت الثواني تضاعف قلق (عبده) من الشيخ المخيف.

ـ كم تأخذ مني يا (عبده)

ـ ألفا كل أسبوع، يعني أربعة آلاف شهريا

ـ ما رأيك أن تقوم بشيء لي مقابل عشرة آلاف أسبوعيا؟

شخر (عبده) باستهجان وقال:

ـ لم؟ هل سأقتل لك قتيل؟

ـ نعم، ستفعل.

صُعق (عبده) مما سمع، فأضاف الشيخ وهو يشر بيده:

ـ وعدة مرات، ليس مرة واحدة.

هبّ (عبده) واقفا سائلا بانفعال:

ـ ماذا تريد مني يا شيطان؟

مسكه عرفة من يده وأجلسه.

ـ اسمع يا عبده، أنا وبالتالي أنت أعمل مع أسيادنا الجن، أخدمهم ويساعدونني، هل تعرف ما هذا؟ كُفْر يا (عبده)، أنا وأنت كفرنا بربّنا، انتهى الأمر، فعندما أطلب منك شيئا حراما ترفض؟

كان (عبده) ينظر له باشمئزاز، ولم يكن يفكر في محاولة الشيخ (عرفة) إقناعه بل في كيف يمكنه زيادة المبلغ أكثر.

ـ خمسة عشر ألفا لكل رأس.

ألقى (عبده) الكلمة في خوف ورعدة تجري في جسمه كله، لا يدري أهي خوف من الشيخ أو مما هو مقدم عليه من فِعلة لم يقم بها من قبل، هل سوف يعتاد عليه؟ نظر إلى عين الشيخ متوجسا من ردة فعله، ظل الشيخ صامتا لثوانٍ ثم انفجر ضحكا وأجاب:

ـ كما تريد.

ـ من تريدني أن أقتل؟

ـ لن تقتل بيدك، ستحضر لي هنا طفلا لم يبلغ الحلم، ولد أو بنت، وحتى لا تسأل عن مصيره، هذا الطفل سيُقتل.

ـ لم؟

رفع (عرفة) كتفيه وقال بلا مبالاة:

ـ تجارة أعضاء، مكسبها من ذهب، المورد السابق غالى في الأسعار فـ..

قاطعه (عبده):

ـ مرسي؟!

ـ لست غبيا جدا يا ولد

ثم ضرب فخذيه براحتيه والتفت ليلتقط عصاه قائلا:

ـ اتفقنا!

ـ عندي سؤال يا سيدنا!

نظر له الشيخ مستفسرا ومحذرا من التمادي في آن واحد، فأضاف (عبده):

ـ البنت الحبلى؟

اعتدل (عرفة) في جلسته مبتسما وأجاب:

ـ هذه بنت سكن رحمها جنيٌّ مارق، كل التحاليل والأشعة تظهرها حبلى، وهي تقسم أنها لم يمسسها بشر، فاستحضرت داخلي جنيا قويا، وأدخلته بعضوي ليطرد المارق، وقد ذهبت الفتاة للأطباء بعد ذلك ووجدوها بلا شائبة، وأنت رأيت كيف قبلت الأم قدمي.

ـ ورأيت كيف تغيرت البنت كذلك.

ـ لا تتدخل فيما لا يخصك.

ثم قام واقفا متّكئا على عصاته، وأعطى (عبده) خمسة آلاف جنيه كهدية، ومفتاح سيارة عتيقة لينقل فيها ما اتفقا عليه قائلا:

ـ أنا أعرف أنك تجيد القيادة، ستجد أوراق السيارة داخلها.

*****

ـ كذاب ابن زانية.

هكذا قالت (سوسو عرب) بانفعال، بينما (عبده) يشرب من زجاجة البيرة، وأضافت:

ـ لو كان ما يقوله صحيحا، ما حاجته للقرص لينتصب عضوه، هل الجنيّ لا يستطيع ذلك، أشعر بكذب كبير في كلامه.

ـ لا شأن لي، سأصبح ثريا، وبعد حين لن أكون خادما لأحد، ولو استدعى ذلك القتل سأفعل، أنا كافر على كل حال كما قال قوّاد الأعضاء، وربما أصبح تاجرا كبيرا، إنهم يملكون جبالا من الذهب.

قال هذا وهو حالم نبرات الصوت، تسبح نظراته سقف بيته القذر، وإذا بضحكة قصيرة، فالتفت إليها جفلا، فسألته:

ـ والحكومة؟

ـ أيّة حكومة؟! الحكومة لا تهتم بالأطفال الذين سأصطادهم، أطفال الشوارع، والهاربين من الملاجئ تحبهم الحكومة موتى، كنت منهم يوما ما، وأعرف ما أقول.

ـ ليس كما تتصور، أنا أتابع الإنترنت والفيس، إنهم نشطون هذه الأيام.

فشخر (عبده) كردة فعل طبيعية، ثم قال:

ـ دعك من الفيس والأفلام الأجنبية التي تغرقين فيها.

أجابته وهي تشير إلى رأسها:

ـ يجب أن يعمل هذا جيدا

جذبها من ذراعها إليه قائلا:

ـ تعالي يا عاقلة

فتفلتت من يده وقالت:

ـ لا، أنا منهكة، كان عندي ثلاث زبائن اليوم!

ـ معا أم فرادى؟

أشارت له بإصبعها إشارة نابية فشدها بعنف قائلا:

ـ إذن، تعالي يا منهكة يا ابنة المنهكة.

قالت وقد لانت في يديه كزبد دافئ:

ـ دائما تحصل على ما تريد.

*****

كان مدخل البيت المتهدم مظلما، فقط شعاع ضوء حيي من مصباح الشارع المتهالك، يلقي ظلا ل(عبده) الجلس على ركبتيه منحنيا على الأرض، تبدو قلادة (عبده) الضخمة المتأرجحة في الظل كمشنقة قاسية، ظمأى للأرواح، ويدا طفل مُلقى تحاولان عبثا إبعاد يدي (عبده) القابع فوقه، ويسد أنفاسه بمنديل المخدّر، ظلت قطرات عرق عبده تنهمر على الطفل، وأنفاسه تتسارع مع تسارع حركة يدي الطفل، ثم هدأ كل شيء.

٪٪٪٪٪

لم يكن الأمر سهلا، لم يكن كاصطياد كلاب ضالة كما تصور (عبده)، ظل الشيخ يتعامل مع (مرسي) مضطرا، ولم يوقف راتب (عبده) الجديد، في ستة أشهر قتل طفلين، كان شرط الشيخ إذا لم يحصل على طفل حيا في أول أسبوعين في الشهر العربي، فليبدأ البحث في الشهر العربي الجديد، عندما أحضر (عبده) الطفلين كان رد فعل (عرفة) هو التقاط الهاتف الخلوي الخاص به ويتصل بمرسي ويقول

كلمتين فقط:

ـ لا داعي.

فيتململ (مرسي) الذي بدأ يشعر بوجود منافس.

مر عامان، وتحسن أداء (عبده) وإن لم يتحسن أداء مخه كما قال له (سيدنا) ذات مرة.

استطاع اصطياد عشرة أطفال في عامين، وتوطدت العلاقة مع (سيدنا) وإن لم تُرفع الكلفة، صارا يضحكان معا كل حين.

ذات يوم و(عبده) خارج من مقر (سيده)، كانت الساعة قرب الثالثة فجرا في شهر يناير الغضوب البارد، لمح مشاجرة أبطالها أطفال من أطفال الشوارع، أخذ يراقبهم من بعيد وهم غير ملاحظين له، فإذا بأحدهم يخرج مطواة ويطعن بها محل القلب في جسد خصمه، نزعها، ونظر لضحيته تترنح ثم جروا جميعا تاركين صاحبهم يسقط ينزف روحه مع الدماء، كان أول ما فكر فيه هو تاريخ اليوم الهجري، استخدم هاتفه الخليوي ليجد أن اليوم هو اليوم الرابع عشر من الشهر العربي، تساءل في نفسه هل يمكن أن يكون ما زالت لديه فرصة

لتقديم هذا الفتى للشيخ؟

حمل الطفل وألقاه في مؤخرة السيارة؛ ليلحق بالشيخ قبل مغادرة مقره إلى بيته الذي لا يعرف مكانه أحد.

*****

تسلل (عبده) إلى مقر (الشيخ) مستخدما مفتاحه، في الليل البارد حاملا الطفل شبه الحي، متّقيا عيون الناس، ألقى الطفل في صالة الشقة مدرجا في دمائه، ودخل غرفة الحضرة، ثم تسمر في مكانه، رأى الشيخ جالسا أمام مبخرته، ممسكا بكتاب أسود من جلود الحيوانات، عيناه مفتوحتان، لكنهما تشعان ضوءًا شيطانيا أحمر، وأمامه كائن مخيف، له جسم رجل مفتول العضلات، عاري الجسد، له رأس كلب، أحمر العينين كعيني (الشيخ)، ينهش في الطفل المخدّر الذي أحضره (مرسي)، كان الشيخ يقرأ بصوت خشن تراتيل ما من كتابه عندما دخل (عبده)، التفت له الشيخ لثانيتين، ثم التفت عنه ليُكمل ترتيله، خرج (عبده) بعد دقائق قليلة، مرتعدا ليجلس بجوار الطفل الذي كان

فارق الحياة، لم يهتم (عبده) بالطفل بل كان كل همه ماذا سيفعل به (الشيخ عرفة) بعدما اكتشف سره الشيطاني الذي لم يفهمه.

استمر الأمر نصف ساعة ثم خرج (الشيخ عرفة) متكئا على عصاه، وبمجرد رؤية جثة الطفل صرخ:

ـ ما هذا؟! أمجنون أنت؟

جرى عبده نحوه ووقع على الأرض، وأخذ يقبل حذاء (الشيخ عرفة) ويقول:

ـ أنا خادمك يا سيدنا، أرجوك يا سيدنا لا تؤذني، أنا حفظت سرك الأول لعامين وسأحفظ هذا السر للأبد.

لم يهتم بتوسلات (عبده) وأشار بعصاه لجثة الطفل وقال:

ـ قلت لك ما هذا؟؟

شرح له (عبده) ما حدث بكلمات لا تكاد تقف على قدمين.

رد ببرود:

ـ تخلص من تلك الجثة ونظف آثار الدماء.

ثم أدار ظهره وخرج وهو يقول:ـ وغدا تأتي في موعدك.

*****

بعد ستة أشهر اتصل (عبده) بـ(سوسوعرب)، كانت انقطعت عن لقائه منذ شهرين، لم يعد كما هو في الفراش منذ الليلة المشئومة، وإن استمر في صيد أطفال الشوارع لسيده، أعطته أكثر من فرصة متعللة له بالإرهاق تارة والعصبية تارة أخرى، ثم ملت، وهو كذلك حاول مع عديد من فتيات الليل، والنساء الشبقات لخيانة أزواجهن.

ـ سوسو؟ أين أنتِ؟

ـ مشغولة يا (عبده)

ـ أريد أن أراكِ

ـ حاضر، سأتصل بك.

ـ لا، أريد أن أراك الليلة.

ـ هل هذا ضروري؟

ـ نعم.. جدا

ـ حسنا

*****

فتح الباب فدخلت (سوسو) في صمت وجلست مكانها المعتاد ناظرة له في برود وهو يتحرك ليجلس بجانبها، تحركت مبتعدة عنه سنتيميترات قليلة، هجم عليها عبده بلا مقدمات ليحتضنها قائلا في توتر:

ـ اشتقت لك.

أبعدته في غضب وقالت:

ـ لا أريد، ماذا تريد؟

ـ فقط، اشتقت لك.

نظرت له باستهانة ثم أعرضت، فاستطرد، وقد طأطأ رأسه:

ـ هناك ما أريد قوله!

وحكى لها عن ليلته المرعبة، ثم الرعب الذي استقر في قلبه وقلقه الدائم ما أدى إلى حالة الوهن التي ابتلعته.

كانت تتابعه بدهشة، ثم زالت ملامح الدهشة وتوطنت ملامح التفكير العميق، لم يكن ذكاؤها بخافٍ على عبده، ربما هذا هو السبب الرئيس الذي جعله يلجأ إليها.

ـ لقد صرت خائفا دائما، مرتعدا، قلقا، والعجيب أنني لم أتوقع هذا، لقد مات قلبي منذ زمن، ودفنته في القبر نفسه الذي دفنت فيه شرفي وضميري، هل هذا عقاب ربنا؟

نظرت له بهدوء وقالت:

ـ اقتله.

ارتعد وصرخ:

ـ لا، بعدما رأيته تلك الليلة، أصبح لا يخفي قوته عني، إذا لكزني فإن مكان لكزته يبقى لأيام يؤلمني ألما مبرحا، إذا تأخرت يلقي بي في بئر أسود، لا أخرج منه حتى أسترضيه، إنه الشيطان نفسه.

ـ إذن اكسبه.

ـ كيف؟

ـ هل تذكر الفتاة الحبلى؟

ـ نعم، ماذا تقصدين؟

ـ هذا العجوز مزاجه البنات الصغيرة

ـ ثم؟

ـ سماح مريلة.

ـ من؟

عادت بظهرها للوراء وقالت كمن يُحاضر:

ـ سماح مريلة، بنت في التعليم الثانوي، معنا منذ ثلاثة أشهر، لكنها أستاذة، عدة زبائن جربوها ولم يحيدوا عنها بعدها، سنجمعه بها ونستخدمها في ترويضه، في أشهر قليلة سيكون خاتما في إصبعها.

ـ وإذا استغلت هذا لصالحها؟

ـ لا يهم، فقط تحررك من قيده، ثم ليذهبا معا إلى الجحيم.

حرك رأسه بعنف أن لا، وأضاف:

ـ سيشك في الأمر.

ـ ليس إذا اختارها هو.

التفت لها مستفهما فأجابت:

ـ ستدعو هذا الخنزير لليلة مسامير، وتُريه صورتها وصورتي ليختار بينهما، وسترى.

*****

ـ سيدنا؟!

ـ نعم يا (عبده).

ـ أريد أن أحدثك في شيء.. ليس مالا

ـ ماذا تريد؟

ـ أريد أن أدعوك لليلة شقاوة.

نظر له الشيخ عرفة باستهزاء دون رد.

ـ الحقيقة، أنا منذ..

ثم ازدرد لعابه قبل أن يُكمل:

ـ منذ الليلة إياها لم أعد كما أنا مع الحريم، وكنت أريدك أن تعالجني يا سيدنا، ولذلك فكرت أن أهاديك بواحدو من الاثنتين اللتين اتفقت معهما.

ثم ألقى في حجره الصورتين، أبعد صورة (سوسو) باستخفاف، وما أن وقعت عيناه على (سماح مريلة) حتى انتفض ثم تحول لتمثال، رآه (عبده) يمرر لسانه على شفته السفلى، لم يتعجب (عبده) مما رأى، فالفتاة متفردة الجمال، لها نظرة فتاة بريئة لم تعرف الجنس، وفي الوقت

نفسه ترجوك أن تعرفها به، كان يتمنى أن يختار (سوسو) ليجرب هو هذا المزيج السحري، لم تمر ثوانٍ حتى انهار أمام الفتاة ذات الصدر الرمّاني الخجول، اتفقا على ليلة بعينها، وفي أثناء خروج (عبده) من الغرفة ناداه عرفة:

ـ يا (بغل).. اطمئن سأجعلك حصانا.

*****

في مسكن (عبده) جلس الشيخ عرفة على الأريكة بجوار (سماح)، منتظرا انتهاء صاحب البيت من جولته مع (سوسو)، هكذا طلب الشيخ عرفة، ليستمتع بمداعبة فتاته، كان يضع يده على أماكن عفتها، وما تفعله هي أنها تمسك يده بعد أقل من دقيقة لتبعدها بهدوء لتتركه يعيد الكرّة، وهي في ذلك ناظرة إلى الأرض، والخجل في عينيها كأنه حقيقي، و(عرفة) تتسارع دقات قلبه ويهدئها برشفات من البيرة والعصير.

فُتح باب غرفة النوم، خرج (عبده) و(سوسو عرب)، تعلو وجهيهما سعادة كبيرة بعودة (البغل) لعنفوانه.

ـ أستطيع القيام بجولة أخرى، لكني سأترك لك الغرفة وأفعلها هنا على الأريكة.

قبل أن يرد، أخذت (سماح) زجاجات (البيرة) وعبوات العصير ودخلت الغرفة داعية (عرفة) بنظرتها الخلابة.

عندما أغلق (عرفة) باب الغرفة، هجمت (سوسو) على (عبده) كأنها لم تكن معه منذ دقائق وأخذت تسقيه مما يُسقى منه الشيخ في الغرفة.

*****

استيقظ (عبده) على وكزات من عصا (الشيخ عرفة) وهو يصرخ:

ـ قم يا بغل قم يا حمار.

قام (عبده) فزعا:

ـ ماذا هناك يا سيدنا؟!

ـ سرقونا بنات الزانية

ـ لا يمكن، ما المبلغ وسأحضره من عينهما

ـ ليس مالا، أخذا مفتاح الحضرة ومفتاح السيارة، قم معي بسيارتك يا حيوان.

ركبا سيارة عبده الهرمة، فكانت تتحرك كأنها تموت.

ـ هل أخبرت أي من الفتاتين بما رأيته عندي؟

جفل (عبده) ولم يجب، دق (عرفة) بعصاته على الأرض وصرخ:

ـ أجب!

ـ (سوسو)

قالها بصوت خفيض، ظل (عرفة) صامتا يدق بعصاته على الأرض بتوتر، فجأة سأل (عبده):

ـ لماذا أضعفتني مع النساء

ـ لم أضعفك، فقط جعلت عقلك يتخيلك ضعيفا، فصدق جسمك، واليوم جعلت عقلك يتخيلك فحلا، فصدق جسمك وعدت كما كنت، الأمر مجرد تخيل.

ـ وتلك الفتاة منذ عامين، تذكرها؟

ـ نعم، أذكرها، مثلها مثل غيرها، يحسبونني الحل، لكن أنا المشكلة، أردتها بعد رؤيتها مصادفة خارجة من مدرستها، فسحرت أعين الناس والأطباء ليروها حبلى، وبعدما نلت مبتغاي سحرت الأعين ليروها بكرا، كذلك شفاء أبناء الأثرياء، أنا أزرع المرض في عقولهم وأعينهم، ومن السهل إلقاء اسم الشيخ (عرفة) صاحب المعجزات في طريقهم.

ـ وإذا عرف أحدهم الحقيقة؟ إنهم أكابر.

ـ لا يوجد حقيقة يا (عبده)، إن ما يصدقه عقلك وتراه عينك هو الحقيقة عندك.

كانت نوبة الصراحة مدعاتها نفض القلق والتوتر اللذان يمضغان قلب (عرفة).

وصلا لمقر الشيخ، وكان باب الشقة مفتوحا.

*****

دخلا الشقة واتجها إلى غرفة الحضرة، وجدا (سماح) نائمة على بطنها، ومغروس في ظهرها سكين ضخم، وبجوارها عدة بلاطات

منزوعة من الأرض، و(سوسو) جالسة على الأرض، وشعرها منتصب لأعلى، تقرأ من ذات الكتاب الذي رآه (عبده) من قبل، ويبدو أن تلك البلاطات كانت مخبأ الكتاب، التفتت بعينيها المتقدتين الحمراوين، وأشارت بكفها كاملا نحو الشيخ (عرفة)، بدأ الشيخ (عرفة) صراخا فزعا، يضرب على جسمه بكفيه قائلا:

ـ ليست نارا حقيقية، ليست حقيقة.

أخذ يغمض عينيه ويفتحهما وهو مستغرق في صراخ الألم والفزع، و(عبده) ينظره في خوف، وتعجب؛ إذ بدأ جلده الاحتراق بدون نار، سقط (عرفة) على الأرض وقد ضعف تنفسه، وضاع صوته من الصراخ حتى لفظ أنفاسه، بعدما صار لحما مهترئا شبه متفحّم.

بموت (عرفة)، سقط شعر (سوسو) على كتفيها وانطفأ الضوء الأحمر في عينيها، وقامت في هدوء لتجلس على مقعد (عرفة) في غرفة الحضرة، بدأت الكلام وهي تتصفح الكتاب:

ـ هذا الكائن المرعب متعاون حقا، يقبل الصفقات مع من يحملون الكتاب ويرددون تراتيله، لم تنتبه لأهمية الكتاب وأنت تحكي لي يا (عبده).

نظر (عبده) إلى الكتاب في يديها، ففتحته له ليجد صفحاته بيضاء بلا كتابة، وقالت:

ـ لن يرى المكتوب في الكتاب عداي، أول طلب لي في أول ترتيلة، هيا.. تخلص من الجثتين.

ـ قتلت (سماح)؟!

ـ بالطبع، لا نريد شركاء، سنرحل للصعيد، ولن ينعم بهذا سوانا يا (عبده).

ابتسم (عبده) وقال مغتبطا:

ـ صحيح يا (سوسو)؟

ـ أكيد، ولكن لا تنادني (سوسو)، نادني (سيدتي)، وأكثر منها عندما نكون في الفراش، فهي تشعلني نارا.

(الحاج مرتجي)

عجيب أمر (مرتجي)، كيف تحول في شهر واحد من (مرتجي) إلى (عم مرتجي)، ثم أخيرا إلى (الحاج مرتجي)، بدأ هذا منذ ما يقرب شهرين حين سمع أهل البلدة إطلاق النار، فاستيقظوا من نومهم مفزوعين، هرع بعض أهل البلدة بعد بعض الوقت الذي استهلك في استجماع الشجاعة، يقتحمون سواد الليل المحصن بالرهبة، كان الصوت يأتي من الطريق المهجور الموصّل إلى القرية، وجد الناس سيارة سليم ابن الحاج مرتجي، وقد اخترق زجاجها الأمامي رصاصة، والدماء تغطي مقعد السائق، ولكن لا توجد جثة.

عندما أُخبر (مرتجي) بما حدث استبد به الذهول، مات ابنه الوحيد، بل عائلته كلها، فلم يكن له سواه، تدخلت الشرطة وقالت إنه قتل بغرض السرقة، ولم يقم القتلة بسرقة السيارة مخافة التتبع، وقال بعضٌ ربما سُرقت الجثة أيضا لتجارة الأعضاء.

ظل (مرتجي) في بيته وحيدا أسبوعا، ويرفض ملاقاة أحد، بعد الأسبوع بدأ مرتجي الخروج والتعامل مع الناس على استحياء، التزم الصلاة في المسجد بعد أن لم يكن، بدأ قراءة القرآن فلا يدع المصحف من يده، وهكذا في شهر تحول من مرتجي إلى الحاج مرتجي.

ذات صباح اختفى مرتجي وسيارة ابنه التي أفرجت عنها الشرطة، ثم عاد إلى البلدة وحيدا، لقد باع السيارة ذات الذكرى الأليمة -لا ألومه أبدا-.

دخل الحاج (مرتجي) القهوة قادما نحوي، وقد طالت لحيته، وقال:

ـ مساء الخير يا عوض

ـ مساء الفل يا حاج مرتجي، تفضل

ـ أريدك معي في السوق، سأشتري بقرة، وأريد نقلها بسيارتك، وسأعطيك ما تريد.

ـ عيوني يا حاج.

ثم انتفض عندما رأى الشيخ (علي) شيخ السجد، وتركني وأسرع نحوه، فأرهفت السمع فإذا به يقول:

ـ أنا ملتزم في الصلاة هذه الأيام يا شيخ (علي)

ـ ملاحظ يا حاج، ربنا يثبتك

ـ يعني هل سيحبني الله؟

ـ إن شاء الله، أبشرْ

ـ كنت أريد أن أسأل سؤالا

ـ سل!

ـ هل كل ما في القرآن صحيح؟

ـ طبعا يا (مرتجي)، هل هذا سؤال؟

ـ كله كله؟

ـ نعم يا مرتجي.. من قال غير هذا كفر هو العياذ بالله.

ـ كتر خيرك يا شيخ (علي)

ثم اتجه نحوي وقال لي:

ـ غدا؟

فأومأت برأسي موافقا.

أرهقني كثيرا الحاج مرتجي فقد عاين ألف بقرة أو يزيد ولم تعجبه أحدها، حتى إنه ذهب لبعض المزارعين الذين لا يريدون بيعا في بيوتهم ليرى أبقارهم، حتى وجد مبتغاه، كانت بقرة رائعة بحق، قال لي مرتجي:

ـ ما رأيك؟؟

ـ شكلها يفرح، ما شاء الله، مبروك عليك.

عدنا بالبقرة إلى البلدة، كان الليل أطل بعباءته السوداء، أعطاني مرتجي حقي وزيادة، ثم أخذ البقرة إلى بيته.

توجهت إلى القهوة كعادتي، بعد وقت قليل جاءتني فكرة بدون مقدمات، ربما من سرق جثمان سليم غير الذين قتلوه، لقد كان هناك مساحة من الوقت خلقها خوف أهل القرية من الذهاب إلى مكان الحادث.

هذه الفكرة التي لا سبب لها ولا تأثير خلقت هاجسا ملحا للذهاب لبيت الحاج مرتجي.

وجدت الباب مفتوحا، وبمجرد دخولي وجدت أثر دماء على الأرض، تتبعته خائفا فوجدت مصدره تلك البقرة التي اشتريناها اليوم، لقد ذبحها مرتجي، وقطع من جسمها جزءا، سمعت صوتا مكتوما، تحسست خطاي متجها لذلك الصوت، فصدمت برائحة عفن مريعة، غطيت أنفي بكمّي وأكملت حتى وصلت إلى غرفة، رأيت الحاج (مرتجي) يمسك بالجزء الذي اقتُطع من البقرة ويضرب جثة - أعرف أنها جثة سليم- وقد غزاها التحلل ويقول في التياع:

ـ قم.. انهض.

هل أخبرتكم أن البقرة كانت صفراءَ، فاقعٌ لونُها؟!

(المخلِّص)

يقف شاب وسيم فارع القامة محملق في ثبات لباب الشقة التي قرع جرسها، يرتدي بالطو أسود عليه آثار المطر، ينتظر بنفاد صبر، سمع مزلاج الباب، فأخذ نفسا عميقا، وشحذ طاقته لما هو مقبل عليه، فُتح الباب، وظهر رجل في بداية الخمسينيات، فيه بدانة، وشعر أعلن اللون الأبيض عن مملكته فيه، تفرس الخمسيني في وجه الضيف الذي لا يعرفه، ثم بدا عليه أنه استنتج من هو، فرسم ابتسامة مرتبكة قائلا:

ـ أهلا... كنت أنتظرك يوميا، تفضّل.

ثم ترك الباب مفتوحا، وأولى الضيف ظهره ودخل إلى الشقة. تبعه الضيف بحذر. جلس صاحب البيت وأمامه غلاية ماء يخرج منها البخار، أخذ يعد لنفسه كوبا من الشاي في هدوء، فلا يُسمع إلا صوت لهاثه، الذي ربما هو لبدانته، أو لتخوفه من ذلك الزائر، ظل ضيفه يتابعه بتربص وكراهية.

أشار الخمسيني إلى المقعد الذي أمامه..

ـ تفضل يا سيادة..

تفرس في ضيفه قليلا ثم أكمل بصيغة سؤال:

ـ رائد؟؟

ـ بل مقدم، المقدم علاء أحمد.

قالها وهو يتجه إلى المقعد ليجلس أمام مضيفه مباشرة.

ـ أهلا، أهلا، لا أعتقدك تحتاج أن أقول إني (مُخلِص عصام)

ـ نعم، لا تحتاج..

أشار (مخلص) بكوب الشاي لـلمقدم علاء، كأنه يسأله إذا كان يرغب في كوب، فأشار بيده أن لا، ثم وضع ساقا على الأخرى وقال:

ـ أتعبتني؟!

ـ لكنك وجدتني في النهاية، لك أن تفرح.

ـ رجل غير متزوج مثلك، كيف يقضي يومه؟

ـ لكل منا مشاغله.

مال (علاء) إلى الأمام وفتح كفه في وجه (مخلص) وسأله:

ـ خمس جرائم قتل يا جبار؟؟

ـ بل سبعة.

تراجع علاء إلى الوراء مشدوها.

ـ القاضي والمتسول، أول من قتلت، لم أكن وجدت أسلوبا بعد، خنقت المتسول الشيخ وطعنت القاضي بسكين.

ـ ثمّ التزمت برصاصة في الرأس؟

ـ تقتل أسرع. أنا مقصدي خير.

كان (مخلص) يتكلم ناظرا في عين الضابط دون أن ينزع ابتسامته العريضة عن شفتيه، يختبئ وراءها من نظرات راصدِه الحادة، ووجهه المتحجر.

ـ خير؟! أي خير؟؟

قالها الضابط بهدوء صيادٍ يستهدف حيوانا سريعا.

ـ نعم، كل خير.

مسح بكمه العرق الذي ينهمر من جبهته على الرغم من برودة الجو وأكمل:

ـ الموت نعمة من ربنا، يرسله إلينا عندما يرانا غير قادرين على الاستمرار، أو غير جديرين بهذا الاستمرار. وأنا قررت أن أكون رسول الله الحامل لهذه النعمة لعباده، الذين يموتون أو الذين يحيون من بعدهم، هل تعرف أن عطوة..

قاطعه الضابط:

ـ كان يغتصب ابنته.

ـ نعم.. أيّة سعادة قدمتها بيدي العظيمتين لتلك المسكينة، المتسول المجنون الذي كانت تتلقفه الأرصفة القاسية في الشوارع الغاضبة، لقد اخترت أن أقوم بعمل تقوم به الملائكة.

ثم نظر إلى أفق غبر موجود وأضاف بفخر:

ـ أنا مخلِّص المعذبين، موتى وأحياء، أنا الشجاع الذي اختار سبيلا لا يطيقها غيره.

نظر إلى المقدم، فإذا به متكئ على مقعده، اعتدل الضابط، وقال بهدوء وثقة:

ـ اسمع، البيت محاط بالقوات، وفضّلتُ أن أقابلك وحدي لغاية في نفسي..

ـ أيّة غاية؟؟

ـ اسكت.. سأقبض عليك، وسأودعك سجن (.....) المخصص لشديدي الخطورة، لكن هناك ما قبل ذلك وما بعده.

كان يتكلم كأنه يقرأ طالعا بائسٍ لرجل ملعون.

ـ ما قبله هو أني سأعذبك وأهينك سأجعلك تحلم بالموت، لكن مع الأسف لن أجعله يصل إليك، سأحميك، أما ما بعده فإني سأترك وصاياي في السجن لمعارفي في السجن لتنال معاملة خاصة، ربما يجعلونك زوجة أحد تجار المخدرات ذوي الميول الشاذة، صدقني سترى أياما من جحيم.

كان يتكلم راسما على وجهه تعاطفا قويا مع ضحيته التي يتلاعب بها، فكانت نظراته المتعاطفة مع تهديداته المريعة ترسم لوحة جنونية جعلت ملامح (مخلص) تعترف بما تخفيه من خوف وتوتر.

ـ ثم تُعدم!

قالها (علاء) بمسرحية كأنه ينطق كلمة النهاية لرواية طويلة مملة.

استمر (مخلص) في اللهاث ناظرا بتوتر وإعياء للأرض تحت قدميه.

ـ لكن يوجد حل!!

انتبه له بتلهف، ونظر في وجهه في أمل.

وبدون انتظار لسؤال أخرج علاء من جيبه مسدسا ووضعه على المنضدة، ثم رجع بظهره للوراء وقال:

ـ أرى أن تخلّص نفسك، كما كنت مخلّصا لهؤلاء المساكين، فأنت تملك الشجاعة، لست مثلهم.

ثم أخرج مسدسا آخر وسدده نحو محاوره، وأضاف:

ـ وهذا في حال ما إذا فكرت إطلاق النار عليّ والهرب، ثق أني أسرع منك، والآن أيها (المخلّص) أرني شجاعتك.

أخذ (مخلص) ينقل عينيه بين المسدّس الملقى على المنضدة وبين الضابط علاء، وهو يبتلع لعابه كأنه الصخر، والعرق يتصبب من رأسه كحمم البركان.

الفهرس

إهـــداء 4

(رحلة إلى الأوليمب)..... 5

(فنتريلوكيزم)..... 35

(نقطة دم)..... 45

(انعكاس)..... 52

(الأراجوز)..... 75

(خدم وأسياد)..... 80

(الحاج مرتجي)..... 113

(المخلِّص)..... 118